دكتور
محمد بدر معبدي
الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد
جامعة الأزهر - فرع البنات

الشعراء العرب الشجعان في الإسلام

المطبعة التجارية الحديثة
٢٢ شارع ادريس راغب — الظاهر
تليفون ٩٠٣٣٦٤ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تحدثنا فى الكتاب الأول عن (الشعراء الشجعان) فى الجاهلية ، حيث أن أكثر شعراء الجاهلية كانوا من الفرسان والأمراء وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم كانت فى الحماسة والفخر بما بين قبائلهم من التنازع ومرجع ذلك كله الى العصبية ، كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها — فلما جاء الاسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية سلك الشعر طريقا آخر ، واتخذت الحماسة والفخر مسلكا يغاير هذا المسلك الذى سلك فى الجاهلية فاذا افتخر الشاعر الجاهلى بقيس أو تميم افتخر الشاعر المسلم بالاسلام على حد قول الشاعر الاسلامى :

أبى الاسلام لا أب لى سواه ... اذا افتخروا بقيس أو تميم

وكان هدف الشعراء المسلمين الذود عن دينهم والوقوف ضد من يحاول أن يمس من قريب أو بعيد الدعوة الاسلامية ، أو ان ينال من قائدها العظيم محمد ﷺ ، ولذلك كان الرسول ﷺ يشجع الشعراء الذين نصبوا أنفسهم حراسا ومدافعين عن الدعوة الاسلامية « ولم يكن يرى بأسا من انتصار الشعراء له يدفعون عنه أقوال شعراء قريش الذين جاءت الآية الكريمة بالطعن عليهم ، وتوعدهم الرسول ﷺ ، ففر بعضهم من وجهه ، ومات البعض الآخر[1] .

وقد كان من أشهر من هجا المسلمين ثلاثة : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان ، وعمرو بن العاص ، وأن النبى ﷺ قال للأنصار : ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ، فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وكان يرى لأشعارهم تأثيرا فى أعدائه ومن أقواله « ﷺ هؤلاء النفر (الشعراء) أشد على قريش من نضح النبل »

(١) العمدة ٧ جـ ١ وانظر تاريخ آداب اللغة العربية جرجى زيدان .

وقال لحسان مرة : اهجهم (يعنى قريشا) فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام . أهجهم ومعك جبريل روح القدس والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات[٢] وهذا التوجيه النبوى قد أثمر فى صقل مواهب الشعراء المسلمين ، فآتت أكلها عند الفتح وقبله فقد بدأ المعنى الاسلامى يتضح فى الشعر ويعمق ، وصارت الشخصية الاسلامية تتميز عن شخصية الشاعر الجاهلى ، فبعد أن كان الفخر بقوة العدة والعدد وبلاء القبيلة وكسب المغنم وسبى العدد ، صار الفخر فى شعر المسلمين بنيل الشهادة فى سبيل الله وانتصار جند الله وأمة المسلمين على أعداء الله المشركين وصار الكسب كسب رضوان الله ورسوله لا كسب الشاة والبعير ، وكان طبيعيا لذلك أن يكون أسلوب الشعر خاضعا للمعنى الجديد فغدت لغة الشعر سهلة لينة ابتعدت عن خشونة الكلمة الجاهلية ، وصعوبة تركيب عباراتها ولذلك فليس بغريب ان يلين شعر حسان ، ويسلس شعر كعب ، أما ابن رواحة فيكاد أن يكون شعره كلام المتخاطبين وهو حديث النفس المؤمنة التى تفصح دون اعياء أو تعقيد ، وكان لجودة هذا الشعر وخصبه أن ساهم مساهمة فعالة فى نشر الدعوة واخضاع المشركين والمتمردين على الدين ، فيكفى أن يتفوق حسان على شاعر تميم ليسلم ذلك الوفد ويشهد الا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، كما أن أبياتا قالها كعب بن مالك بعد حنين توقع الرعب فى قلب دوس فتسارع الى اعلان اسلامها واستسلامها ، فكان شعر هؤلاء الشعراء سيفا مصلتا على رقاب المشركين ، وسلاحا ماضيا بيد رسول الله ﷺ يخضع به أعداء الدين .

وسار الخلفاء الراشدون على خطة الرسول ﷺ فى تحريض الناس على الجهاد ، فقد رووا لأبى بكر رضى الله عنه قصيدة حماسية قالها فى بعض الغزوات كما رووا للخليفة الرابع على بن أبى طالب شعرا كثيرا قاله فى صفين[١] وفى غزوة بدر حين ازدادت الدائرة على المشركين فى يوم بدر ، وكتب الله النصر للمسلمين بهذا العدد القليل ، فانطلقت السنة الشعراء المسلمين تذكر النصر المؤزر الذى ظفر به النبى وأصحابه وتندد

---

(١) العمدة ١١ جـ ١ .

بقريش وأبطالهم الذين صرعهم الغى والضلال ولم تغن عنهم كثرتهم شيئا ومن هؤلاء — الشعراء الحمزة بن عبد المطلب ، وكعب بن مالك فقد روى له ابن هشام ثلاث قصائد ، وحسان بن ثابت وقد روى له ابن هشام أيضا تسع قصائد فى هذه الوقعة وحدها ، وممن أشاد بالمشركين ، وبكى قتلاهم الحارث بن هشام بن المغيرة ، وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبعرى ، وأبو بكر بن الأسود ، وأمية بن أبى الصلت ، ومعاوية بن زهير بن قيس ، وهند بنت عتبة ، ولها أربع قصائد فى رثاء أبيها وقومها وصفية بنت مسافر •وهكذا نرى الشعر ينشط فى تلك الفترة نشاطا ملحوظا ويجرى على ألسنة الرجال والنساء ، وقد بلغ التنافس أوجه بين شعراء الاسلام والعقيدة ، وشعراء الكفر والضلال فاذا قال شاعر من المسلمين قصيدة فى الفخر بما كتب الله لهم من النصر ، تصدى له شاعر من المشركين يحاول أن يهدم فخره وينقض قوله فان أنشد الحمزة بن عبد المطلب قصيدته التى مطلعها :

ألم تر أمرا كان من عجب الدهر   وللحين أسباب مبينة الأمر

أجابه الحارث بن هشام بن المغيرة بقصيدة على رويها ووزنها

ألا يا لقومى للصبابة والهجر   وللحزن منى والحرارة فى الصدر

وحين يقول على بن أبى طالب فى يوم بدر :

ألم تر ان الله أبلى رسوله   بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل

يجيبه الحارث بقصيدة على وزنها وقافيتها مطلعها :

عجبت لأقوام تغنى سفيههم   بأمر سفاه ذى اعتراض وذى بطل

وينشد ضرار بن الخطاب بن مرداس فى النيل من الأنصار والتهديد بالانتقام منهم :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر   عليهم غدا والدهر فيه بصائر

ويجيبه كعب بن مالك وهو من شعراء النبى ﷺ بقوله :

عجبت لأمر الله والله قادر   على ما أراد ليس لله قاهر

ويبكى عبد الله بن الزبعرى صرعى بدر من وجوه المشركين بقصيدته

ماذا على بدر وماذا حوله   من فتية بيض الوجوه كرام

فيشمت فيه صنوه الشاعر حسان بن ثابت ، ويتمنى أن تكون دموعه دما :

ابك بكت عيناك ثم تبادرت بدم تعل غروبها • سجام

ولا ينسى ابن الزبعرى شماتة حسان ، فاذا كان يوم أحد الذى ابتلى فيه المؤمنون أسرع الى الزهو بما أصاب المشركون فى هذا اليوم الذى ثأروا فيه لقتلاهم فيقول قصيدته التى أولها :

يا غراب البين أسمعت فقل انما تنطق شيئا — قد فعل

ولا ينسى أن يشتفى بحسان بن ثابت الذى سأل له البكاء الطويل والحزن المقيم يوم بدر فيقول :

أبلغا حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا الغلل

ويذكره حسان بيوم بدر وما نال المشركين فيه ، وبأن الأيام دول فيقول :

نزلت بابن الزبعرى ضربه كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحيانا دول

وقد سبق أن قلنا ان النبى ﷺ كان يشجع شعراءه ، ويعد قولهم جهادا فى سبيل الدين ، وأن فعل شعرهم لا يقل فى الاعداء عن فعل السيوف التى يحملها المحاربون فى رقاب أعدائهم المشركين[1] .

---

(١) أدب صدر الاسلام : محمد خضر ص ١٨٨ بيروت طبعة خاصة .

الفصل الأول

شـــعراء الرســول

صــلى الله عليــه وســلم

كعب بن مالك

أبو عبد الله كعب بن مالك الأنصارى ، أبوه مالك بن كعب بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة (بكسر اللام) بن سعد بن على بن أسد بن ساردة السلمى ، وساردة هو ابن يزيد بن جشم بن الخزرج والخزرج من الأزد وهم من قحطان •

وكان كعب بن مالك يكنى فى الجاهلية ، فكناه النبى ﷺ أبا عبد الله ، وكان يقال له أيضا أبو عبد الرحمن[1] •

ويعد أبو عبد الرحمن من مشاهير الشعراء الشجعان — ولا غرو فى ذلك ولا عجب فقد ورث تلك الصفات عن أبيه ، فأبوه مالك من مشاهير رجال يثرب ، قبل الاسلام وكان شاعرا شجاعا ، وله فى حروب الأوس والخزرج ذكر وآثار •

وقومه بنو سلمة مشهورون بتسابقهم الى فعل المكرمات وكل ما فيه منبهة وذكر للمرء • من تقوى وسماحة وشجاعة وحب للخير — فلقد أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب مسجد الرسول ﷺ حرصا منهم على أداء فروضهم ، وليكونوا أقرب الى مركز الهداية والنور المحمدى فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : « انه بلغنى انكم تريدون الانتقال قرب المسجد ؟ فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال لهم ﷺ آمرا لهم بالالتزام بديارهم حتى يكتب آخر خطواتهم وسعيهم الى المسجد وذلك كما روى البخارى فى صحيحه « بنى سلمة دياركم تكتب لكم آثاركم » ، وهذا يدلنا على أن مجتمع بنى سلمة مجتمع سباق الى الخيرات والمكرمات ، ويريد أن يكون أقرب الناس الى رسول الله ﷺ •

وفى موقعة أحد التى ظهر بها جانب عظيم من بطولة كعب بن مالك ، صاحب الترجمة وقف عبد الله عمرو بن حرام السلمى موقفا بطوليا من أول المعركة حتى استشهد ، كان أول مواقعه حينما شهد عبد الله بن أبى بن سلول

---

(١) انظر الاغانى (ترجمة كعب مالك) •

ينخذل عن رسول الله بثلث الناس قبل بداية المعركة ، فأخذ ينصحهم قائلا « يا قوم أذكــركم الله ألا تخــذلوا قومكم ونبيكم قالوا : لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن نرى انه لا يكون قتال •

وأخذ يحاورهم ، فلما استعصوا عليه قال لهم : أبعدكم الله اعداء الله ، فســيغنى الله عز وجل عنكم بنبيه ﷺ وأنزل الله تعالى : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » وقوله تعــالى : (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى ســبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعــلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئــذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) •

وفى معركة أحد نفسها ظهر تكتل آل سلمة وحسن دفاعهم ، وثباتهم فى المعركة والشىء من معدنه لا يستغرب وهذا الشبل من تلكم الأسود الضوارى الذين شهدوا المشاهد ، وكان لهم حيث بلغ مداه الخافقين ، وتغنى بهم التاريخ وكان كعب فى مقدمة الشجعان الأشاوس المتحمسين للدعوة النبوية والذين قاموا بدور رائد نشيطفىالبيعة الثانية (الكبرى وقد كان شديد الاعتزاز باشتراكه فى هذه البيعة وهى عنده أهم من موقعة بدر وقد عبر عن ذلك بقوله « ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس منها[1] وكان يتمتع ببعد النظر ، وقدرة على استشفاف الأحداث فها هو يتنبــأ منذ يوم بدر بالفتح ، ويتوقع أن تتدفق خيــل المسلمين تطلع من كداء يرقبها أبو سفيان يقول كعب : —

فلا تعجل أبا ســـفيان وارقب جياد الخيــل تطــلع من قبــاء
بنصر الله روح القدس فيهــــا وميكــــال فيا طيب ـــ المـــلاء

وقد شهد كعب المشاهد كلها عدا غزوة بدر وتبوك ، أما بدر فقد صرح بذلك فى حديث التوبة اذ قال : « لم اتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها الا فى غزوة تبوك ، غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها ، انما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد[2] •

(١) صحيح البخارى : باب غزوة تبوك .
(٢) البخارى : غزوة تبوك .

ولعل له العذر المبرر لتخلفه فى هاتين الغزوتين، أما عذره فى تخلفه عن بدر فان الاشتراك فى هذه الواقعة لم يكن ملزما لجميع المسلمين كما حدث ذلك كعب عن هذا ، وأما عذره فى تخلفه عن تبوك فقد كان كعب رضى الله عنه صاحب حس مرهف ومزاج شاعرى ولعل نفسه قد خامرها شىء من هذا السفر البعيد فى حمارة القيظ ومالت الى الظل والماء ، فتردد فى الخروج ، وطال تردده فلم يشعر الا وقد خرج الناس وجد بهم المسير واذا هو حيث هو من داره[1] فاستولى عليه ندم شديد ، ولكل شجاع هفوة ولكل جواد كبوة[2] .

ومن ذا الذى ترجى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ولقد استغل ملك غسان هذه الهفوة من كعب فأرسل اليه نبطيا من أنباط الشام وكانت بينه وبين كعب قرابة ونسب ، أرسل اليه كتابا يقول فيه أما بعد قد بلغنى ان صاحبك قد جفاك ! ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ! فالحق بنا نواسك ! .

ولكن كعبا كان عميق الايمان حاد الذكاء فأدرك خطر هذه الدعوة الماكرة ، وأدرك أن وراءها ضياعا حقيقيا وخروجاً عن المجتمع الاسلامى ، فما كان منه الا أن ذهب الى التنور فأوقد بها ناره ، وصرف الرسول الغسانى ، وقد أكرمه الله بقبول توبته مع التائبين حيث نزل قوله تعالى : «لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الآيات»[3] وشاعرنا لم يكن جبانا رعديدا حتى يتخلف عن الحرب بل كان شجاعا صنديدا فهو رجل حرب كما هو رجل شعر ، ويكفى أن النبى ﷺ شهد له بالاقدام والجرأة والفروسية فقال : « أنت تحسن صناعة الحرب » .

ولقد كان الشعر والشجاعة فى التاريخ العربى صنوين قلما يفترقان .

ويحدثنا التاريخ عن شجاعة كعب النادرة وجرأته الفائقة تقول حفيدته « عميرة بنت عبد الله بن كعب عن أبيها الخ » أنه لما انكشف الناس

---

(١) اسد الغابة .
(٢) انظر صحيح البخارى : باب غزوة تبوك .
(٣) الآيات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ سورة التوبة .

يوم أحد كان كعب أول من عرف رسول الله ﷺ ، فبشر به المسلمين حيا سويا ، بعد أن عرف عينيه تحت المغفر فأخـــذ ينـــادى « يا معشر الأنصار » أبشروا فهذا رسول الله ﷺ ، قال فأشار الى النبى ﷺ « أن اصمت ثم دعاه فلبس لامته ، وألبس كعبا لامته وقاتل يومئذ كعب قتالا شديدا حتى جرح أحد عشر أو سبعة عشر جرحا وتدل هذه الرواية على شجاعته وبسالته وعلى انه كان مقربا من الرسول الأمين وان حجم لامته وحجم لامة النبى كانا متقاربين ان لم يكونا متماثلين ، وان هذا التصرف من الرسول الكريم يعتبر تشريفا وتكريما لكعب رضى الله عنه[١] .

وكان كعب فى غير الحياة العسكرية رجلا مهما أيضا يثق فيه الرسول ﷺ ، ويسند اليه بعض المهام فقد ولاه فى السنة التاسعة للهجرة صدقات أسلم وغفار ، كما بعثه ينادى فى الناس بمنى فى حجة الوداع أن أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله لينتهى الناس من صـــيامهم وغير ذلك من المهام القيادية التى أهلته لها خبرته وتجاربه العديدة .

شـــعره :

يقول ابن كثير عن كعب انه شاعر الاسلام[٢] وقال عنه الجمحى فى طبقات فحول الشعراء انه شاعر مجيد ، ومما يدل على علو منزلته الشعرية ان عائشة رضى الله عنها كانت تحفظ شعره وترويه « الشعر منه حسن ومنه قبيح ، خذ الحسن ودع القبيح » ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا ودون ذلك[٣] .

ومن مميزات كعب رضى الله عنه انه كان حاضر البديهة الشعرية ، وكان قومه من الأنصار يعتزون ببديهته ويلجأون اليها فى موقف الفخر والاعتزاز ، ومن المواقف التى تدل على حضور بديهته ، موقفـــه يوم خيبر من مرحب اليهودى ، فقد خرج مرحب من حصن اليهود مرتجزا[٤] .

---

(١) الديوان : وانظر زهر الآداب .
(٢) شرح البلاغة المجلد (٤) ٤٤٨ .
(٣) انظر الديوان وفى مقدمة الديوان : منهما كانا متقادين فى الصورة والخلقة ففضل أن يكون هدفا للمشركين بدلا من الرسول ﷺ .
(٤) البداية والنهاية ج ٨ ترجمة كعب .

قـــد علمت خيبر ٠٠ أنى كعب شاكى الســـلاح بطل ٠ مجرب
أطعن أحيـــانا ، وحينا أضرب اذا الليوث لليوث أقبلت ٠٠ تحزب
قـــد علمت خيبر ٠٠ انى كعب واننى متى تشـــب ٠٠ الحرب
ماض على الهول ، جرىء صـــلب معى حســـام كالعقيق ٠ عضب
بكف ماض ليس فيـــــه عتب تدلكم ٠٠ حتى يذل الصـــعب

وقد قال كعب الشعر فى أغراض عدة وأعظم الأغراض التى قال فيها الشعر هى : فى الدفاع عن الاسلام والرد على أهاجى شعراء الكفر ودحض مفترياتهم كما امتاز بشعر النقائض وهو شعر يقوم على المفـــاخرة وقـــوة الحجة وحضور البديهـــة والارتجـــال على أن أكثر شعره كان فى الدعوة الاسلامية ومجالدة الأعداء ٠

يقول كعب فى اجلاء بنى النضير :

لقد خزيت بغدرتهـــا الخبـــور كذاك الدهـــر ذو صرف يدور
وذلك أنهـــم كفـــروا برب عـــزيز أمـــره أمـــر كبـــير
فقالوا ما أتيت بأمـــر صـــدق وآيـــات مبينـــة — تنـــير
فقـــال بلى لقـــد أديت حقـــا يصـــدقنى به الفهم — الخبير
فمن يتبعه يهـــد لكل رشـــد ومن يكفـــر به يجز الكفـــور
فلما أشربوا غـــدرا وكفـــرا وجـــاد بهم عن الحق النفـــور
أرى الله النبى برأى صـــدق وكان الله يحكـــم لا يجـــور

ولم يكن العرب فى جاهليتهم بطبيعة الحال يستخدمون لفظ الاسلام ، لأنه مصطلح للدين الجديد الذى بشر به محمـــد ﷺ ، وقد ورد فى قـــوله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » فاستعمل الشعراء الاسلاميون هـــذا اللفظ فى شعرهم ومنهم شاعرنا كعب ٠

بخـــالد ما بقينـــا أو تنيبوا الى الاسلام اذعانا مضـــيفا
وكـــم من معشر البوا علينـــا صميم الجذم منهم — والحليفا
أتونا لا يرون لهـــم كفـــاء فجدعنـــا المســـامع والأنوفا
لأمـــر الله والاســـــلام حتى يقوم الدين معتـــدلا حنيفـــا

ويروى الأغانى قال كان يهجو قريشا ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم

ويردون عليهم أهاجيهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم الى الكفر ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكانوا فى ذلك الزمان أشـد شىء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شىء عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ، ولما تعرض بعض المشركين لهجاء الرسول ﷺ قام ابن رواحة فقال يا رسول الله ائذن لى فى الرد فقال أأنت الذى تقول « فثبت الله » قال نعم يا رسول الله أنا الذى أقول •

فثبت الله ما أعطـاك من حسـن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فقال وأنت فعل الله بك مثل ذلك فوثب كعب بن مالك فقال يا رسول الله ائذن لى فقال أنت الذى تقول « همت » قال نعم يا رسول الله أنا الذى أقول همت سـخينة ان تغالب ربها
وليغلبن مغـالب الغـلاب

فقال أما ان الله لم ينس لك ذلك ولما انهزم المشركون يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ ان المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى ويهجونكم ، فمن يحمى أعراض المسـلمين فقـام عبد الله بن رواحة فقال أنا فقال انك لحسن الشعر ثم قام كعب فقال أنا فقال وانك لحسن الشعر ، وكثيرا ما كان الرسول ﷺ يستنشد كعبا الشعر ويستعيده ويستزيده يروى ابن سيرين قال وقف رسول الله ﷺ بباب كعب بن مالك فخرج فأنشده ثم قال ايه فأنشده ثم قال ايه فأنشده ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ لهذا أشد عليهم من وقع النبل •

ويكفى هذا التقدير لشعر كعب من أمام البلغاء وسيد الفصحاء وقد قال معاوية يوما لجلسـائه أخبرونى بأشـجع بيت قالته العرب أو وصف به رجل قومه فقال روح بن زنباع قول كعب بن مالك :

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا   يومـا ونلحقهـا اذا لم تلحـق

فقال له معاوية صدقت ، وكعب أحد من عاون عثمان رضى الله عنه على من قاموا ضده وشهر سلاحه لمناصرته ، فلما ناشد سيدنا عثمان الناس ان يغمدوا سيوفهم انصرف ، ولم ير أن الأمر يخلص اليه ولا يجترىء القوم الى قتله فلما قتل وقف كعب على مجالس الأنصار فى مسجد رسول الله فأنشدهم :

من مبلغ الأنصار عنى آية ... رسلا تقص عليهم — التبيانا
ان قد فعلتم فعلة مذكورة ... كست الفضوح وأبدت الشنآنا
بقعودكم فى داركم وأميركم ... يغش ضواحى داره النيرانا
بينا يرجى دفعكم عن داره ... ملئت حريقا كابيا ودخانا
حتى اذا خلصوا الى أبوابه ... دخلوا عليه صائما عطشانا
يعلون قلته السيوف وأنتم ... متلبثون مكانكم رضوانا
الله يعلم أننى لم أرضه ... لكم صنيعا يوم ذاك وشأنا
يا لهف نفسى اذ يقول ألا أرى ... نفرا من الأنصار لى أعوانا
والله لو شهد ابن قيس ثابت ... ومعاشر كانوا له اخوانا
وأبو دجانة وابن أقرم ثابت ... وأخو المشاهد من بنى عجلانا
ورفاعة العمرى وابن معاذ هم ... وأخو معاوى لم يخف خذلانا
قوم يرون الحق نصر أميرهم ... ويرون طاعة أمره ايمانا

وأبو دجانه سماك بن خرشة وابن أقرم ثابت البلوى وأخو المشاهد من بنى عجلان معن بن عدى عقبى ورفاعة بن عبد المنذر العمرى وابن معاذ سعد بن معاذ وأخو معاوية المنذر بن عمرو الساعدى[1] عقبى بدرى — فجعل القوم بعد سماعهم شعر كعب يبكون ويستغفرون الله ، وما دفعه الى هذا الا حبه وتشيعه لسيدنا عثمان رضى الله عنه ولعل هذا هو ما دفع بعض من يقول عنه انه كان عثمانيا وهو أحد من قعد عن نصرة سيدنا على كرم الله وجهه فلم يشهد حروبه وخاطبه فى أمر عثمان رضى الله عنه وقتله خطأ ثم اعتزاله ٠

وله شعر كثير فى تحريض الأنصار على نصرته قبل قتله وتأنيب لهم على خذلانه — كما تقدم — ومنها :

(١) انظر الأغانى ج ١٥ ص ٢٦ — ٢٨ طبعة ساسى ٠

فلو حلتموا من دونه لم يزل لكم　　مدى الدهر طرا لايبوح ولايسرى
ولم تقعدوا والدار كاب دخانها　　يحرق فيها بالسـعير وبالجمر
فلم أر يومــا كان أكثر ضيقة　　وأقرب منه للغواية والنكـر[1]

ويرد على شعراء مكة بقوله :

وأن تزوا أمرنا فى رأيكم سـفها　　فرأى من خالف الاسلام تضليل

ولا شك أن المسلم حريص على أن يتسلح فى جهاده ضد الاعداء — بسلاح التقوى بالاضافة الى السلاح المادى ، وشاعرنا كعب يفخر بأن التقوى بعض ما يلبسه المؤمنون فى لقائهم مع الأعداء حيث يقول :

تلكم مع التقوى تكون لباسـنا　　يوم الهياج وكل ساعة مصـدق

وصـفة العبودية لله هى مما يعتز به المؤمن لأن فى ذلك غنى عن الخلق ، وابتغاء لمرضاة الخالق جل جلاله يقول كعب :

فى عصـبة نصر الاله نبيهـم　　بهم وكان بعبـده ذا مرفـق

ويقول ردا على ضرار بن الخطاب :

صـبرنا لا نرى لله عـدلا　　على ما نابنـا متوكلينـا
لننصر أحمـدا والله حتى　　نكون عباد صـدق مخلصـينا

ولم يكن الجاهلى يعلم أن هناك حسابا ينتظره بعد موته ، فجاء الاسلام مبينا ما يجزى به الله سبحانه الخلق فى الدار الآخرة . ان خيرا فخير وان شرا فشر ، وشتان بين العملين كما قال كعب :

شـتان من هو فى جهنم ثاويا　　أبدا ومن هو فى الجنـان مخـلد

ويخاطب حمزة بن عبد المطلب بعد استشهاده :

عليك سـلام ربك فى جنـان　　مخالطهـا نعيـم — لا يزول

ويقارن بين قتلاهم وشهداء المسلمين وأن الشهداء فى جنات النعيم أما قتلاهم فهم فى النار .

وقتـلاهم فى جنـان النعيم　　كـرام المداخـل والمخـرج
كذلك حتى دعاهـم مليـك　　الى جنـة دوحـة المولـج

ويرد على المشركين بعد استشهاد سعد بن معاذ :

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٦ .

فاما تقتلوا ســـعدا ســـفاها	فان الله خـــير القــــادرينا
ســـيدخله جنـــانا طيبـــات	تكون مقـــامة للصـــالحينا

وكعب يهدد أبا سفيان بفتح مكة على ايدى المسلمين :

فلا تعجل أبا ســـفيان وأرقب	جيـــاد الخيل تطلع من كـداء
بنصر الله روح القدس فيهـــا	وميكـال فيـــا طيب المـــلاء

ويعير الكفار بيوم بدر الذى حقق الله فيه النصر للمؤمنين :

ويوم بدر لقينـــاكم لنـا مدد	فيه مع النصر ميكـــال وجبريل

ويقول فيها أيضا :

ألاهل أتى غســـان فى نأى دارها	وأخبر شىء بالأمـــور عليمهـــا
بأن قـــد رمتنا عن قسى عداوة	معد ، معـا جهالهـا وحليمهـا
لأنا عبدنا الله ، لم نرج غـــيره	رجاء الجنـــان اذ أتانا زعيمها
نبى له فى قـــومه ارث عـــزة	واعراق صدق هذبتها أرومها[1]
فســـاروا وسرنا فالتقينا كأننا	أســود لقاء لا يرجى كليمها[2]
ضربناهم حتى هوى فى مكـــرنا	لمنخر سوء من لؤى عظيمها[3]
فولوا ودسناهم بيض صوارم	سواء علينا حلفها وصميمها[4]

---

(١) الأرومة : الأصل .
(٢) الكليم : الجريح .
(٣) المكر : موضع الكر : الحرب .
(٤) الصميم : الخالص ، والحليف : من ليس من القوم .

عبد الله بن رواحـــة

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأغر بن ثعلبـــة بن كعب بن الخزرج بن الحـــارث بن الخـــرج ابن الأنصـــارى الخـــزرجى الشـــاعر المشـــهور يكنى أبا محمد ويقـــال كنيتـــه أبو رواحـــة وأمـــه كبشـــه بنت واقـــد بن عمـــرو ابن الاطنابة الخزرجيـــة .

وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها الى أن استشهد بمؤته روى عنه ابن عباس وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وكان صادق الايمان اذا لقى الرجل من أصحابه يقول له تعال بنا نؤمن ساعة وفيه قال النبى ﷺ رحم الله ابن أبى رواحة انه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة ، وكان عبد الله كبير القدر فى الجاهلية وكان كاتبا والكتابة فى العرب قليلة ، شاعرا اشتهر بالنقائض ، وكثيرا ما كان يناقض قيس بن الخطيم ، جند شعره فى خدمة رسول الله والدعوة الاسلامية ، متفانيا فى طاعة الله ورسوله ، أتى النبى الكريم وهو يخطب فســـمعه يقول : اجلسوا ، فجلس مكانه خارجا من المســـجد حتى فرغ النبى ﷺ من خطبته ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال له : زادك الله حرصا على طواعيه الله وطواعية رسوله ، ولما آذن القتال كان ابن رواحة أول خارج الى الغزو وآخر قافل[1] وقال ابن اسحق كان زيد بن أرقم يتيما فى حجر عبد الله ابن رواحة ، فخرج معه الى سرية مؤتة فسمعه فى الليل يقول :

اذا أدنيتنى وحملت رحـــلى ... مســـيرة أربع بعد الحســـاء
فشـــأنك فانعمى وخـــلاك ذم ... ولا أرجـــع الى أهـــلى ورائى
وجـــاء المؤمنون وخـــلفونى ... بأرض الشام مشـــهور — الثراء

فبكى زيد فخفقه بالدرة فقال ما عليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل[2] وقد حضر المشـــاهد كلها — كما تقدم — وأرسله رسول الله ﷺ الى العالية ليبشر أهلها بوقعة بدر ودخل النبى

---

(١) الاصابة ص ٦٦ حرف العين .
(٢) نفس المصدر السابق .

بعد سنوات الجهاد مكة فى عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام ناقته يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله   خلوا فكل الخير فى رسوله
يا رب انى مؤمن بقيله   أعرف حق الله فى قبوله

فقال عمر بن الخطاب : يابن رواحة فى حرم الله ، وبين يدى رسول الله ﷺ هذا الشعر ؟ ! فقال الرسول ﷺ خل عنه يا عمر ، فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل ثم قال :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدقنا .. ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا   وثبت الأقدام اذ لاقينا
ان الكفار قد بغوا علينا

فقال النبى ﷺ ، اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت ، ولما نزل قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون » قال ابن رواحة انى منهم فأنزل الله : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا » الآية .

وقال عبد الله بن رواحة مررت فى مسجد الرسول ورسول الله ﷺ وآله جالس وعنده اناس من الصحابة فى ناحية منه فلما رأونى قالوا يا عبد الله بن رواحة فجئت فقال اجلس ههنا فجلست بين يديه فقال كيف تقول الشعراء قلت انظر فى ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين ولم أكن هيات شيئا فنظرت ثم انشدته فذكر الابيات ففيها :

فثبت الله ما آتاك من حسن   تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا[1]

قال فأقبل بوجهه متبسما وقال واياك فثبتك الله ومن أحسن ما مدح به النبى ﷺ :

لو لم تكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تنبيك بالخبر

وتقرأ شعر ابن رواحة فيتمثل لك فارسا شجاعا يسترخص الموت فى سبيل الله ، ويستهين بالمخاطر فى سبيله ، فحينما تهيأ المسلمون لغزوة مؤته ، بلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة الف من

---

(١) المصدر السابق .

الروم ومثلهم من المستعربين فلما علم ذلك المسلمون أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله ﷺ فاما أن يمدنا بالرجال ، واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له ، فما كان من عبد الله بن رواحه الشاعر الفارسى الا أن تقدم المقاتلين وحرضـهم على خوض المعركة وقال قولته المشـهورة : « يا قوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشـهادة ، ونحن لا نقـاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور ، واما شهادة ، فقال الناس ، قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس حتى اذا كانوا بقرية مشارف دنا العدو منهم،وانحاز المسلمون الى مؤته ثم بدأ القتال فهجم زيد بن حارثة فقتل ، ثم اقتحم جعفر الروم فقتل ، فلما قتل جعفر دعا الناس عبد الله ابن رواحة وهو فى جانب العسكر فتقدم فقال وهو يخاطب نفسه :

يا نفس الا تقتـلى تمـوتى — هذا حياض الموت قد صـليت
ومـا تمنيت فقـد لقيت — ان تفعـلى فعلهمـا هديت
وان تأخرت فقد شـقيت

ويعنى بقوله : « فعلهما » زيدا وجعفرا ثم قال يا نفس الى أى شىء تتوقين ؟ الى امرأتى فهى طالق ، الى غلمانى فهم أحـرار ، الى صحن حائط ؟ فهو لله ورسوله ثم أخذ اللواء واستقبل فقاتل برهة ثم عاد — وأخذ يؤنب نفسه على تردده كل التأنيب — يلوم نفسه على لحظة صغيرة تردد فيها فعاد يقول مخاطبا نفسه :

ما لى أراك تكـرهين الجنـة — أقسـم بالله لتنزلنـه
طائعـة أولا : لتكرهنـه — فطـالما قد كنت مطمئنـه
هل أنت الا نطفـة فى شـنه — قد أجلب الناس وشـدوا الرنة

فلما نزل للقتال طعن ، فاستقبل الدم بيده ، فدلك به وجهه ثم سار بين الصفين حتى قتل .

واجتمع المهاجرون والأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : « أخذ زيد ابن حارثة الراية فقاتل حتى قتل شهيدا ثم أخذها جعفر بن أبى طالب

فقاتل حتى قتل شهيدا » ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصـــار وظنوا ان كان فى عبد الله بن رواحة ما يكرهون فقال ﷺ : « ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا ثم لقد رفعوا الى الجنة على أسرة من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه فقلت عم هذا؟فقيل لى مضيا،وتردد عبد الله بعض التردد !

وأيا ما كان الأمر فلن يضـــير عبد الله بن رواحة لحظة تردد اذا ما نظرنا الى جهاده العظيم وتفانيه فى سبيل رفعة الدين وفروســـيته المشهودة فى الحروب وأن رسول الله ﷺ كان اذا أراد أن يختار بعض القادة والفرسان لمهمة صعبة أختار عبد الله بن رواحة فلقد بعثه ﷺ فى ثلاثين راكبا الى أسير بن قرام اليهودى بخيبر فقتله وبعثه بعد فتح خيبر فخرص عليهم يقول أبو الدرداء شاهدا على جرأته وشـــجاعته « أعوذ بالله أن يأتى على يوم لا أذكـــر فيه عبد الله بن رواحة كان اذا لقينى مقبلا ضربنى بين ثديى واذا لقينى مدبرا ضرب بين كتفى ! ! !

ثم يقول يا عويمر هذه مجالس الايمان فلقد كان ابن رواحة صادق الايمان قوى اليقين يذكر الله فى كل لحظة ووقت وقد سألوا الصحابة زوجه عن حاله فقالت : كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، واذا دخل صلى ركعتين لا يترك ذلك أبدا — ولعل ابن رواحة شعر يوما بالتقصـــير فى جانب الله ، أو لعله ذكر هذه اللحظـــات التى تردد فيها فاستدرك على ذلك قائلا :

لكننى اســـأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فـــرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيـــدى حـــران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشـــاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثى ... أرشده الله من غاز وقد رشـــدا

ثم أتى الرسول ﷺ فودعه قائلا : —

أنت الرســـول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حســـن ... فى المرسلين ونصرا كالذى نصروا
انى تفرســـــت فيك الخير نافلة ... فراسة خالفت فيك الذى نظروا

يرحم الله ابن رواحة « لما قال الرســـول الكريم فيه » يرحم الله ابن رواحة انه كان يحب مجالس الذكر .

القعقاع بن عمرو ٤٠ هـ ٦٦٠ م

القعقاع بن عمرو التميمى أخو عاصم كان من الشجعان الفرسان قيل ان أبا بكر الصديق كان يقول لصوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل وله فى قتال الفرس بالفارسية وغيرها بلاء عظيم وقال القعقاع قال لى رسول الله ﷺ ما أعددت لجهاد قلت طاعة الله ورسوله والخيل قال : « تلك الغاية » وأنشد سيف للقعقاع :

ولقد شهدت البرق برق تهامة   يهدى الأنام لسنةِ المختار
فى جند سيف الله سيف محمد   والسابقين لسنة الأحرار

قالوا كتب عمر الى سعد أى فارس كان أفرس فى القادسية قال فكتب اليه انى لم أر مثل القعقاع بن عمرو حمل فى يوم ثلاثين حملة يقتل فى كل حملة بطلا وكان له صحبة بالرسول ﷺ وهو يعد أحد فرسان العرب وشعرائهم وشهد فتح العراق ودمشق وله فى ذلك أشعار مشهورة موفقة يقول :

يدعون قعقاعا لكل كريهة   فيجيب قعقاع دعاء الهاتف[1]

كما شهد اليرموك ، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع على وكان يتقلد فى أوقات الزينة سيف هرقل ملك الروم ويلبس درع بهرام ملك الفرس وهما مما أصابه من الغنائم فى حروب فارس ، ولقد كان القعقاع جنديا من أخمص قدمه الى قمة رأسه كرس حياته للجندية والدفاع عن الاسلام وشعره الذى بين أيدينا يتسم بالروح الحربية شعر حربى يقول فى يوم أغواث من أيام القادسية :

ولم تعرف الخيل العراب سواءنا   عشية أغواث بجنب القوادس[2]
عشية رحنا بالرماح كانها   على القوم ألوان الطيور الرسادس

وكان يرتجز فى القادسية :

أزعجهم عمدا بها ازعاجا   أطعن طعنا صائبا ثجاجا[3]
أرجو به من جنة أفواجا

(١) الاصابة فى اخبار الصحابة جـ ٣ ص ٢٣٠ دار الكتاب العربى بيروت .
(٢) الخيل العراب : الخيل الأصيلة لا شائبة بنسبها .
(٣) ثجاجا : متدفقا .

وقد حمل فى يوم أغواث ثلاثين حملة كلما حمل قتل فيها رجلا من الفرس ، وكان آخر من قتل (بزر جمهر الهمذانى) وفى ذلك يقول :

حبـــوته جياشـــــة بالنفس هدارة مثل شـــعاع الشـــمس
فى يوم أغواث ، قليــــل الفرس أنجس بالقوم أشـــــد النخس
حتى تفيض معشرى ونفسى[١]

وقال فى يوم دمشق :

أقمنا على دار هنالك أشـــهرا نجالد قوما قد حملنا بصـــارم
قصصنا الى الباب العراقى أشهرا فدان لنـــا مستسلما كل قائـــم
أقول وقد دارت رحـــانا بدارهم أقيموا لهم حر الدوى بالغلاصم
فلما زأدنا فى دمشـــق نحورهم وتدمر عضوا منهما بالأباهم[٢]

وقال فى يوم اليرموك :

ألم ترنـــا على اليرمـــوك فـــزنا كمـــا فـــزنا بأيام العـــراق
فتحنـــا قبلهـــا بصرى وكانت محرمة الجنـــاب لدى التلاقى
وعـــذراء المدائن قد فتحنـــا ومرج الصـــفرين على العتـــاق

وقال فى يوم فحل[٣] :

كم من أب لى قد ورثت فعـــاله جم المكـــارم بحـــره تيـــار[٤]
ورث المكـــارم عن أبيـــه وجده فبنى بنـــاءهم له اســـتنصـــار
فبنيت مجـــدهم وما هدمتـــه وبنى بعدى أن بقـــوا عمـــار
مازال منـــا فى الحـــروب مروس ملك يغـــير وخلفـــه جـــرار[٥]
بطـــل اللقـــاء اذا الثغور توكلت عند الثغـــور مجـــرد مظفـــار
وغداة فحـــل قد رأونى معلمـــا والخيل تصهل والبلا أطوار[٦]

---

(١) الطبرى ٣ — ٥٥ .
(٢) اى يعضون ابهامهم من الندم .
(٣) انظر تهذيب ابن عساكر ١٤٥/١٤٤/١ .
(٤) جم كثير : تيار : مترفق .
(٥) مروس اى رئيس وجرار اى جيش جرار .
(٦) معلما : شجاعا ، اطوار : متتابعـة انظر مسادة فتح العراق والجزيرة ، محمود شيت خطاب دار الفكر بيروت .

اعرب ما تحته خط فيما يأتى

(٢) ناقش حكم كل من ما جوابا شرط مع التمثيل لما تذكر

الى أن يقول :

ما زالت الخيل العراب تدوسهم ⁂ فى حوم فحل • والقنا موار

حتى رميت سراتهم عن أسرهم ⁂ فى ردغة ما بعدها استمرار[1]

ولقد أبرنا فى الرداع جموعهم ⁂ طرا ونحوى تبسم الأبصار

وكان أول صوت سمعه سعد بن أبى وقاص ليلة الهرير فى النصف الأخير من الليل مما يستدل به على الفتح صوت القعقاع يهدر :

نحن قتلنا معشرا وزائدا ⁂ أربعة وخمسة وواحدا

نحسب فوق اللبد الأساودا ⁂ حتى اذا ماتوا دعوت جاهدا

الله ربى واحترزت عامدا

هذا بعض شعره الذى قاله فى القادسية ، ولابد أن يكون له شعر فى معاركه الأخرى ، وعلى كل فهذه النماذج تدل دلالة واضحة على تمتع القعقاع بسليقة شعرية أصيلة • رحمه الله وأجزل له العطاء •

---

(١) ردغة : الماء والطين والوصل الشديد ، وما بعدها استمرار : أى ما بعدها بقاء :

سراقة ذو النور بن عمرو فاتح الأبواب[1]

توفى ٢٢ هـ ٦٤٢ م

كان سراقة بن عمرو بن لبنة صحابيا جليـــلا ، ذكروه فى الصحابة ولم ينسبوه وكان يدعى ذا النور[1] ولكنا لا نعر فبالضبط متى أســـلم ولا الغزوات التى شهدها مع رسول الله ﷺ ، والظاهر أنه أســـلم متأخرا أو كان صغيرا فى عهد النبى ﷺ ، فنال شرف الصحبة ، ولم ينل شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد ·

جهاده :

عرف عمر بن الخطاب لسراقة فضـــله العظيم فى الجهاد فولاه البصرة ، ولكنه رد أبا موسى الأشعرى الى البصرة ، ورد سراقة الى الباب ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى وكان يدعى ذا النور أيضا ، ولما تغلغلت طلائع المسلمين كاتبه ملكها واستأمنه على أن يأتيه ، فأمنه عبد الرحمن فلما لقيه قال له : « انى بازاء عدو وأمم مختلفة ليست لهم أحساب وليس لذى الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب والأصـــول ، وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان ولست أنا من (القبج) ولا من الأرض فى شىء وانكـــم قد غلبتم على بلادى وأمتى فأنا منكـــم ، ويدى مع أيديكم ، وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون ، فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم » فأجابه عبد الرحمن « فوقى رجل قد أظلك فسر اليه » ثم ســـيره الى سراقة فلقيه بمثل هذا الكلام ، فقبل منه سراقة وقال له : « لابد من الجزية ممن يقيم و يحارب العدو » أى انه وافق على وضـــع الجزية عن الذين يقاتلون العدو وجنبـــا لجنب مع المسلمين وأصر على أخذها من القاعدين من أهل البلاد · وكتب سراقة الى عمر بذلك ، فأجازه وحسنه وهكذا صالح أهل أرمينية والأرمن ،

---

(١) باب الأبواب : ويقال لها البـــاب ايضا : ميناء كبير على بحر (الخـــزر جنوب) روسيا انظر معجم البلدان ٢/٩ وآثار البـــلاد وأخبار العباد ص (٥٠٦) والمسالك والممالك (١٠٩ — ١١٠) ·

(٢) ابن الأثير ٣/٧ ·

ومات سراقة فى (باب الأبواب) قبـل أن يرى ثمرة جهـاده كاملة فاستخلف قبل موته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى .

قال سراقة بن عمرو يصف فتح (باب الأبواب)[١] :

ومن يك سـائلا عنى فانى — بأرض لا يؤاتيهـا .. القرار
ببـاب الترك ذى الأبواب دار — لها فى كل ناحيـة .. مغـار
نذود جمـوعهم عما حوينـا — ونقتـلهم اذا باح السرار[٢]
سـددنا كل فـرج كان فيها — مكابرة اذا سـطع الغبـار
وألحمنـا الجبال جبـال قبـج — نناهبهم . وقد طـار الشرار
على خيـل تعـادى كل يـوم — عتـاداً ليس يتبعهـا المهـار

وهو شعر سلس يصور المعركة تصويرا رائعا حتى تكاد تلمس فيه جو المعركة الصاخب ، غبارا ثائرا ، وخيلا تكر وتفر وقتلى تتهاوى ، ولم ينسه تدابير المسلمين الدفاعية عن منطقة (باب الأبواب) مراقبـة الطرق التقريبية اليها ليلا ونهارا وسد منافذ الجبال لقد كان سراقة من الشعراء الفرسان المجيدين الذين تشرفوا بصحبة النبى ﷺ ونالوا شرف الدفاع عنه رحمه الله .

---

(١) أنظر معجم البلدان (١٢/٢) .

(٢) السرار : سرر الشـهر بفتحتين آخـر ليلـة منـه وكـذا (سراره) بفتح السين وكسرها وهو مشتق من قولهم : استسر القمر اى خفى ليلة وربما كان ليلتين . واذا باح السرار : اذا بزغ القمر وانكشف محاقه .

الفصل الثانى

شـــعراء الفتـــوح الاســـلامية

المثنى بن حارثة الشيبانى

المثنى من أصل شيبانى ، وبنو شيبان هم من الشجرة العدنانية وفرع من قبيلة (بكر بن وائل) وقد كان بنو شيبان من هامات ربيعة فى الجاهلية وهم أبطال معركة (ذى قار) وقد امتد بهم المجد فى الاسلام فكان منهم بيوتات سجل لها التاريخ صفحات خالدة .

وتكرر أمثال يوم (ذى قار) بعد الاسلام بين الفرس وبنى شيبان خاصة ، وبين الفرس وقبائل بنى بكر عامة ، فكان بنو شيبان طلائع الفتح الاسلامى فى العراق — وكان المثنى بن حارثة الشيبانى الذى كان من أشراف شيبان أول قائد عربى تجرأ على مهاجمة الامبراطورية الساسانية فى عقر دارها ، وقد قيل ليس فى العرب أعز من شيبان دارا ، ولا أكثر حليفا .

اسلامه :

وقد وفد المثنى بن حارثة على النبى ﷺ سنة تسع وفد مع قومه فأسلم[1] ولقد نال المثنى شرف الصحبة ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وان كان لا ينكر جهاده فى مواطن شتى شهدت له بالفروسية والشجاعة النادرة ، ففى حروب الردة كان المثنى على رأس الذين أعانوا العلاء ابن الحضرمى فى مهمته الشاقة اذ ضيق الخناق على المرتدين فى منطقة (البحرين) وأخذ الطريق عليهم ولم يكتف بذلك ، بل تابع السير شمالا على شاطىء الخليج الغربى ليقاوم دسائس الفرس الذين شجعوا المسلمين فى منطقة الخليج العربى على الردة ، ويقضى على

---

(١) ص ٢٩ قادة العراق والجزيرة . محمود شيت .
وانظر أسد الغابة ٤/٩٩ والاصابة ٦/٤١ .

أنصارهم من القبائل ومن الأبناء (والأبنـــاء قوم من العجم اختلطوا بالعرب بالمصاهرة وسكنوا البلاد العربية) .

وكان المثنى شـــجاعا مقداما ، شـــهما غيورا ، مأمون النقيبـــة حسن الرأى ، راســـخ العقيدة ، قوى الايمان ، شديد الثقة بنفسه بعيد النظر ، يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الشخصية ، يعترف بخطئه عند الحاجة بكل صراحة ولا يصر عليه ، وكان يشارك أصحابه فى السراء والضراء والشـــدة والرخـــاء ، ضرب المثل الأعلى للانسان الكامل فى صفاته الانسانية ومزاياه — يذكر لنا التاريخ للمثنى جهاده مع العلاء بن الحضرمى للمرتدين مما أدى الى اعادة سيطرة المسلمين على منطقة البحرين ، كما يذكر أنه أول مســـلم هاجم الامبراطورية الفارسية فى عقر دارها فحمل عن المسلمين عبئا لم يحمله غيره ، فهو الذى جرأ العرب على محاربة الفرس وهو الذى رفع معنويات العرب ، وحطم معنويات الفرس ، فكانت أعماله العسكرية فى العراق مقدمة لفتحه فيما بعد ، وكانت معركة (البويب) تمهيدا لمعركة (القادسية) وايذانا بانهيار الامبراطورية الفارسية ، وانتشار الاسلام فى ربوع بلادها ، واخيرا جاد بروحه فى سبيل عقيدته ، فمات شهيدا متأثرا بجروحه التى أصيب بها فى معركة (الجسر) التى لولا قيادة المثنى فى أعقابها لكان مصير المقاتلين فيها من المسلمين الى الفناء .

ان المثنى كان نمطا فريدا بين القادة فى كل أدوار التاريخ فهو بحق مفخرة من أكبر مفاخر العرب والمسلمين فى كل مكان ، وفى كل زمان . رضى الله عن بطل الأبطال ، ورجل الرجال ، القائد الانسان المثنى بن حارثة الشيبانى .

وكما كان فارسا كان شاعرا مطبوعا . طالما تغنى بالأمجاد الاسلامية وأشرب شعره بروح الجهاد والفداء — وهـــذه نماذج من أشعار المثنى التى يتغنى فيها بفتوحاته ، وهى تدل على أن المثنى كرس كل شىء فى حياته حتى شـــعره — للجهاد فهو بحق فارس الشـــعراء ، وشـــاعر الفرسان ولعل الكثير من شعره قد ضاع ، فلم يصل الينا الا جزء من أشعاره قال يذكر معركة النمارق :

غلبنـــا على خفان بيدا مشيحة ... الى النخلات السمر فوق النمارق
وانا نرجو أن تجـــول خيولنـــا ... بشاطى الفرات بالسيوف البوارق

وقال يذكر يوم الخنافس :

صـــبحنا بالخنـــافس جمع بكر ... وحيا من قضــــاعة غير ميـــل
بفتيـــــان الوغى من كل حى ... تبارى فى الحوادث كل جيـــل
نسفنا جمعهم والخيـــل رود ... من التطواف والســـير الطويل

ولعلك تلمس معى فى هذا الشعر ، آمال القائد المنتصر فى انتصار جديد ، وتلمس فيه صولة الفرسان الشجعان الذين لا مثيل لهم فى كل جيل ، حتى أصبحت خيولهم — وقد قطعت مسافات شـــاسعة وهى تحمل الفاتحين — لا تقوى على السير الا بصعوبة .

انها صورة شعرية رائعة ، لا يقوى على الاتيان بمثلها الا شاعر أصيل ![3] .

---

(١) غير ميل : اى غير مائلين عن السروج ، ورود : بوزن عود : اى على مهل وتصغيره رويد : اى ان الخيل من التعب الشديد تسير على مهل .
(٢) قادة فتح العراق والجزيرة — محمود شيت خطاب ص ٤٦ — ٤٧ — ٤٩ .
(٣) الاصابة ٣/٨٥ .

سعد بن أبى وقاص / فاتح العراق والجزيرة

هو سـعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهـرة بن كلاب القرشى الزهرى ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبى سفيان ابن حرب بن أميـة ، وفى (كـلاب) يجتمع نسب الرسول ﷺ بنسب سعد ، كما أن آمنة بنت وهب أم النبى ﷺ من بنى زهرة ، لذلك فان سعدا هو خـال النبى ﷺ ، وبنو زهرة أخواله ولذا افتخر به النبى ﷺ حيث قال فى سعد « هذا خالى فليرنى امرؤ خاله » .

كان قائدا ذا عقيدة راسخة ، جاهد لحماية حرية انتشار الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وجاهد فى الفتح الاسلامى خارج شـبه الجزيرة العربية وقد نسى الناس كثيرا من قادة الفتح الاسـلامى ، وحتى التاريخ نسى كثيرا منهم أيضا ، ولكن سعدا كان من بين القادة الذين يذكرهم الناس دوما ولا ينسونهم أبدا كما انه شرف بأعماله الخالدة صفحات التاريخ فاسمه نابه فى كل مصادر التاريخ وعلى كل لسـان — لقد فتح سـعد العراق وأكثر بـلاد فارس وأذربيجـان و (الجزيرة) وبعض (ارمينية) ولم تقتصر أمجاد سعد على هذه الفتوحات فحسب ، بل له أمجاد كثيرة هى أهم من فتوحاته هذه يتميز بها على غيره من الفاتحين ، فقد أسلم سعد قبل أن تفرض الصلوات[1] ، فهو من المسلمين الأولين السابقين الى الاسلام ، وهو الذى أراق أول دم دفاعا عن الاسـلام ، وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحـد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو أحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه منهم الشورى وهو الذى كوف الكوفة فأصبحت القاعدة الأمامية للفتح الاسلامى فى الشرق كله وأمدت العالم الاسلامى بعدد ضخم من القادة الفاتحين وأولى الرأى والفكر والأدب فكانت هذه المدينة أعظم قواعد الفتح الاسلامى ، واغزر مصادر الثقافة العربية .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٩/٣ .

(٢) معجم البلدان ٣١٦/٨ وفى الاصابة ٢٧٧/٦ ان الذى قال هذا الشعر هو مذعور بن عدى العجلى .

ولقد كان مع هذا شاعرا يتغنى بفروسيته فى المواطن التى شهدها وفى المصادر التى بين أيدينا بعض الشعر الذى ينسب اليه مما يدل على تمتعه بسليقة شعرية ففى سرية عبيد بن الحارث التى بعثها النبى ﷺ فى شوال من السنة الأولى الهجرية ، رمى سعد أول سهم فى الاسلام وفى ذلك يقول :

ألا أبلغ رسول الله أنى ... حميت صحابتى بصدور نبلى
أذود بها عدوهم ذيادا ... بكل حزونه وبكل سهل[1]
فما يعتد رام من معد ... بسهم يا رسول قبلى

ويضيف ابن هشام فى كتابه سيرة النبى ﷺ هذه الأبيات الثلاثة :

وذلك أن دينك دين صدق ... وذو حق أتيت به وعدل
ينجى المؤمنون به ويخزى ... به الكفار عند مقام مهل
فمهلا قد غويت فلا تعبنى ... غوى الحى ويحك يابن جهل

وفى معركة القادسية كان سعد مريضا فقال جرير بن عبد الله البجلى :

أنا جرير كنيتى أبو عمرو ... قد نصر الله وسعد فى القصر

فلما بلغ سعدا خرج الى الناس فاعتذر اليهم ، وأراهم ما به من القرح فى فخذه واليتيه وفى ذلك يقول سعد :

وفوق ذلك يذكر التاريخ له أنه جاهد بنفسه وماله فى عهد النبى ﷺ مدافعا عن العقيدة الاسلامية،ويذود عن الاسلام الحنيف،فقد شهد المشاهد كلها مع الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام • وكان له فيها أثر شخصى ملموس ، كما أنه أوصى لله بثلث ماله لخدمة الدعوة الاسلامية ، وبذلك استحق سعد أن يفاخر به النبى الأعظم عليه الصلاة والسلام ويقول له : « أنت خالى » ويفديه بأبيه وأمه يوم أحد ويدعو له قائلا : « اللهم أجب دعوته وسدد رميته » فكان سعد مجاب الدعوة مشهورا بذلك تخاف دعوته وترجى ولا يشك فى اجابتها • ولا ننسى الفتوحات التى حققها ذلك الفارس العظيم سعد بن أبى وقاص يقول :

وما أرجو (بجيلة) غير أنى ... أومل أجرهم يوم الحساب

فقد لقيت خيولهم خيولا وقد وقع الفوارس فى ضراب
وقد دلفت بعرصتهم فيول كأن زهاءها ابل جراب

ويلاحظ أن البيت الأخير فيه اقواء .

وعندما اعتزل سعد الفتنة الكبرى ، طمع فيه معاوية بن أبى سفيان ، فكتب اليه يدعوه أن يعينه على الطلب بدم عثمان يقول سعد :

معاوى داؤك الداء العياء وليس لما تجىء به .. دواء
أيدعونى أبو حسن على فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له : اعطنى سيفا بصيرا تميز به العداوة والولاء
فان الشر أصغره كبير وان الظهر تثقله — الدماء
أتطمع فى الذى أعيا عليا على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حيا وميتا أنت للمرء الفداء
فاما أمر عثمان فدعه فان الرأى أذهبه البلاء

والظاهر أنه كان لا يقول الشعر الا عندما يستثار ، فلا يجد غير الشعر وسيلة يعبر بها عما يخالج نفسه من أحاسيس وأفكار .

وعلى كل حال فهو شاعر مقل له موهبة شعرية لا ترقى الى درجة المجيدين[1] .

---

(١) ص ٢٨٨ قادة فتح العراق والجزيرة ٢٨٨ دار الفكر بيروت .

هاشم بن أبى وقاص الزهرى
فاتح محور ديالى من المدائن الى جلولاء

هو أبو عمرو هاشـــم بن عتبة بن أبى وقاص من بنى (زهرة) وهو ابن أخ سعد بن أبى وقاص فاتح العراق ، وقد أسلم هاشم يوم الفتح فهو من الطلقاء ، وشهد غزوة (حنين) مع الذين اســـلموا من قريش يوم فتح مكة ، وبذلك نال هاشم شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام .

قاتل هاشم المرتدين تحت لواء خالد ويذكر التاريخ لهاشم بأنه قضى على مقاومات الفرس على محور المدائن — جلولاء — خانقين — قصر شيرين — وهو المحور الرئيسى لانسحاب القوات الفـــارسية من المدائن باتجاه فارس الذى تتيسر فيه مواضع دفاعية متعاقبة تسهل مهمة الدفاع عنه ، مما يجعلنا نلمس أهمية قيادة هاشم ومقدار خدمته للفتح الاسلامى،ويذكر التاريخله أثره الشخصى البارز فى انتصار المسلمين على الروم فى معركة اليرموك الحاسمة وعلى الفرس فى معركة القادسية الفاصـــلة ، ولا يزال المؤرخون يتســـاءلون حتى اليوم ، ترى ! لو لم تصل قوات هاشم الى ساحة معركة القادســـية فى الوقت المناســـب ، فماذا كان يحدث للمسلمين فى تلك المعركة ؟ ؟

ويتميز هاشم بشاعرية مطبوعة تلمس فيهـــا اخلاصـــه الشديد لعقيدته فى كل حيـــاته وتروى بعض المصـــادر التى بين أيدينا بعض الشعر لهاشم ، ومنه ما قاله لما جاء نبأ مقتل عثمان الى أهل الكوفة[1] :

أبايع غـــير مكترث عليـــا ... ولا أخشى أميرا أشـــعريا[2]
أبايعـــه وأعـــلم أن ســـأرضى ... بذاك الله حقـــا والنبيـــا

وقال وهو يقاتل فى معركة صفين :

---

(١) الاصابة (٦/٢٧٥) .
(٢) يقصد ابا موسى الاشعرى والى الكوفة .

أعــور يبغى أهــــله محــــلا قد عــــالج الحيـــــاة حتى ملا
لابـــــد أن يفـــــل أو يفــــلا يتلهـــــم بذى الكعــــوب تلا

وقطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول :

الفحل يحمى شــــوله معقــولا

وعلى الرغم من صعوبة الحكم على شــاعرية هاشــــم من هذه الأبيات القليلة ، الا انه يمكن القول ، بأنه كان شاعرا له قريحة شعرية لا بأس بها — لم تبلغ بشــعره منزلة عالية تجعــله بين الشــــعراء المجيدين !

عمر بن مالك الزهرى

(فاتح محور الفرات من الرمادى حتى ملتقى الخابور بالفرات)

أسـلم عمـر بن مالك بن عقبة بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشى يوم فتح مكة المكرمة ، وعمر هذا هو ابن عم والد سعد ابن أبى وقاص الزهرى ، ويذكر التاريخ أنه صمد مع الصامدين دفاعا عن دينه فى حروب الردة ، وكان أحد الفاتحين المجاهدين الذين سجلوا فتوحات خلدتهم على مر الأيام ، ما بقى التاريخ وما بقى العرب والمسلمون فى المنطقة الواقعة بين الرمادى حتى ملتقى خابور الفرات بنهر الفرات ، وما أعظمها من فتوحات ، وما أخلد فاتحها فى التاريخ ! !

ان من حق هذا القائد العظيم أن يعرفه العرب والمسلمون فى كل ديار العروبة والاسلام بخاصة سكان المنطقة الشاسعة التى فتحها وان يذكروه كلما تكلم الناس بالعربية فى هذه المنطقة وكلما علا صوت المؤذن من فوق منائرها : الله اكبر .

وكان يتمتع هاشم بموهبة شعرية ويدل شعره الذى وصـل الينا ، انه كان شاعر الفرسان ويقتصر شعره على وصف المعارك ومن شعره ما قاله فى فتح قرقيسيا[1] :

ونحن جمعنا جمعهم فى حفيرهم بهيت ولم نحفل لأهل الحفائر[2]
وسرنا على عمد نريـد مدينـة بقرقيسيا سير الكماة المساعر[3]
فجئناهم فى دارهم بغتة ضـحى فطاروا وخلوا أهل تلك المحاجر
فنـادوا الينـا من بعيد بأننـا نـدين بـدين الجـزية المتـواتر

---

(١) معجم البلدان ٧/٥٩ .
(٢) الحفائر : جمع حفرة . وهنا معناها الخندق اى اننا لم نكترث لخنادقهم .
(٣) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع ، المساعر : جمع مسعر لقول سعر النار والحرب اى هيجها والهبا .

قبلنا ولم نردد عليهم جزاءهـــم   وخطناهم بعد الجزا بالبواتر[١]

هذا مثال من شـــعر عمر يدل بوضوح على انه سخر حتى شعره لخدمة الفتح الاسلامى واثارة روح القتال فى المسلمين ويدل على أنه لم يكن شاعرا محترفا يمدح ويقدح حسب الظروف والأحوال[٢] .

---

(١) الوخط : يقال وخطه الشيب اى خالطه او فشاشيبه او استوى سواده وبياضه وهو ايضا الطعن الخفيف او النافذ ، انظر القاموس ٢/٣٩٠

(٢) راجع معجم البلدان ٨/٤٨٧ فى مادة (هيت) تجد اشعارا اخــرى .

الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى

فاتح منطقة عرب الجزيرة وفاتح أذربيجان وبعض ارمينية

هو الوليد بـن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشى الأموى ، ويكنى أبا وهب وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، أمهمـا أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن شـمس بن عبد منـاف .

كان الوليد ولا يزال من الشخصيات التى تعانى من افراط الصديق فى المدح وتفريط العدو فى القدح ، ان التاريخ يذكر أن الوليد كان شريب خمر وأنه عزل عن الكوفةكذلك ، ولست أشك أنه تاب عن الخمر وحسن اسلامه بعد أيام شـبابه ، لذلك كان من القلائل جدا من بنى أمية الذين اعتزلوا معاوية فى حربه مع على بن أبى طالب ، اذ آثر دينه على دنياه — ويذكر له التاريخ أنه كان من أوائل من عالج مشكلة الاماء والعبيد بصورة عملية فمنحهم المخصصات الماليةالمناسبة شهريامن بيتالمال ويذكر له أيضا انه فتح منطقة عرب الجزيرة واستعاد فتح أذربيجان وأرمينية ثانية الى بلاد المسلمين وفى قيادة الوليد يقول الحطيئة :

أرى لابن أروى خلتين اصطفاهما ... فتـال اذا يلقى العـدو ، ونائله
فتى يملأ الشيزى ويروى بكفه ... سنان الردينى الأصـم وعامله
يؤم العدو حيث كان بجحفـل ... يصم السميع جرسه وصـواهله
اذا حان منه منزل الليل أوقدت ... لأخراه فى أعلى اليفاع أوائله[1]

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

عاصم بن عمرو التميمى فاتح سجستان[١]

أسلم عاصم بن عمرو التميمى فى السنة التاسعة للهجرة مع قومه بنى تميم[٢] ، فكان اسلامه بعد غزوة (تبوك) آخر غزوة قادها الرسول القائد بنفسه ، فقد نال عاصم شرف الصحبة[٣] اذ كانوا لا يولون القيادة الا للصحابة[٤] ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء النبى ﷺ .

وقد قاتل عاصم تحت لواء خالد بن الوليد فى حروب أهل الردة ، فأبلى فيها بلاء حسنا استحق من أجله تقدير خالد ، فوجهه أمام قواته على رأس قوة من المسلمين الى العراق — كما سرح غيره من القادة ، وقاتل عاصم أيضا بقيادة خالد فى العراق ، فقتل فى معركة (المذار)[٦] أحد قادة الفرس البارزين ، وبعد فتح الحيرة قاتل عاصم مع خالد فى معركة الأنبار[٧] وعين التمر[٨] ودومة الجندل[٩] وفى هذه المعركة بعث خالد عاصما على رأس مفرزة من الفرسان لأسر أكيدر بن عبد الملك أحد أمراء دومة الجندل البارزين ، فنجح عاصم فى أسره وسلمه الى خالد فقتله[١١] جزاء غدره بالمسلمين .

وكان عاصم أحد الشعراء الفرسان قضى عمره فى ساحات القتال[١٢]

---

(١) راجع معجم البلدان ٣٧/٥ والمسالك والممالك للاصطخرى ص ١٣٨ ، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزوينى ٢٢٦ الطبرى ٣٧٧/٢ .

(٣) الاصابة ٦/٤ والاستيعاب ٧٨٤/٢ .

(٤) الاصابة ١٩٤/٢/٣٠٩/١ .

(٥) الطبرى ٥٥٤/٢ .

(٦) المذار : فى ميسان بين واسط والبصرة ، وهى قصبة — ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام راجع التفاصيل فى معجم البلدان ٤٣٣/٧ . .

(٧) الطبرى ٥٥٧/٢ .

(٨) الأنبار هى مدينة الفالوجة — الحالية — واقعة غرب بغداد على الفرات .

(٩) بلدة قريبة من الأنبار .

(١٠) حصن على سبعة مراحل من دمشق يقع بين دمشق والمدينة .

(١١) الطبرى ٥٧٨/٢ .

وكان شعره معبرا عن أحاسيسه فارسا مجاهدا •قاليصف فتحالحيرة[١٣]

صبحنا الحيرة الروحاء خيـــلا ورجـــلا فـــوق اثبـــاج الركاب
حضرنا فى نواحيها • قصــــورا مشرفـــة كأضراس الكــــــلاب

وقال يصف مطاردته للفرس بعد معركة النمارق[١٤] :

لعمـــرى وما عمـــرى على بهين لقد صبحت بالخزى أهل النمارق
بأيدى رجـــال هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بيندرتاوبارق[١٥]
قتلنـــاهم ما بين مرج مســـلح وبين الهوافى من طريق البذارق

وقدم الدهاقين[١٦] الى أبى عبيدة آنية فيها أطعمة فارسية فلم يأكل منها شيئا حتى علم أنهم قربوا لأصحابه فقال عاصم[١٧] :

صبحنا بالبقـــابس رهط كسرى صبوحا[١٨]ليس من خمرالسواد
صـــبحناهم بكل فتى — كمى وأجرد ســـابح من خيـــل • عاد

فهم يفخرون بأطعمتهم الشهية ، والعربى يفخر بالأبطال من الفرسان
وفى اليوم الأول من أيام القادسية خرج عاصم مرتجزا بقوله :

قد علمت بيضاء صـــفراء اللبب مثـــل اللجين قد تغشـــاه الذهب
انى امرؤ لا من يعنيه الســـبب مثلى على مثلك يغـــريه العتب

وقال يصف كيف أجـــار المســـلمون أمان عبد من عبيدهم لأهـــل (جند نيسابور)[٨] بهذه الأبيات :

لعمرى لقد كانت قرابة (مكنف) قرابة صدق ليس فيها — تقاطع
أجارهـــم من بعـــد ذل وقـــلة وخوف شـــديد ، والبلاد بلاقع
فجاز جوار العبد بعد اختـــلافنا ورد أمورا كان فيها ـــتنـــازع
الى الركن والوالى المصيب حكومة فقال بحق ليس فيه — تخالـــع

هذه نماذج من شعره تعبر تعبيرا صادقا عن هواه العميق بالحرب وخـــلق الفروســـية ، فهو كأخيه القعقاع شاعر الفرســـان أو فارس الشعراء •

---

(١) النمارق : موضع قريب من الكوفة ٢/٦٣٦ •
(٢) درتا وبارق : موضعان قريبان من النمارق القريبة من الكوفة •
(٣) الدهاقين جمع دهقان : زعيم فلاحى العجم وزعيم الاقليم •
(٤) الطبرى ٢/٦٣٩ • (٥) الصبوح هو الشرب بالغداة •
(٦) جند نيسابور : مدينة بخورستان •

ضرار بن الخطاب فاتح ما سبذان في ايران

هو ضرار بن الخطـاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري[٢] كان أبوه الخطاب ابن مرداس رئيس بني فهر في زمانه ، وكان يأخذ المرباع لقومه ، وكان ضرار بن الخطاب يوم الفجار على بني محارب بن فهر وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين ، حتى قالوا : ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم[٣] قاتل المسلمين أشد القتال[٤] قاتلهم قتالا مريرا ، ورثى قتلى قريش في بدر رثاء حارا[٥] وقاتلهم يوم أحد ، فلحق عمر بن الخطاب وجعـل يضربه بعرض الرمح ويقـول : انج يابن الخطاب لا أقتلك » فكان عمر بن الخطاب يعرفها له بعد اسلامه[٦] وهذا يدل على حبـه لعمر بن الخطاب وتقديره له على الرغـم من اختلافهما بالعقيدة ، ولولا ذلك لقتله كما قتل غيره من المسلمين ، فقد اختلف الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم أحد،فمر بهم ضرار فقالوا : هذا شهدها وهو عالم بها ، فسألوه عن ذلك فقال : « لا أدري ما أوسكم من خزرجكم ، ولكني زوجت منكم يوم (أحد) أحد عشر رجلا من الحور العين[٧] وقاتل المسلمين يوم (الخندق) فكان أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق ، وكان أحد قادة قريش يوم (الخندق) يهاجم مواضع المسلمين بين حين وآخر ويجعل خيله فيها ، ويناوش أصحاب رسول الله ﷺ ويقدم رماته فيرمون ، قال ضرار يوما لأبي بكر الصديق : « نحن خير لقريش منكم : أدخلناهم الجنة وأنتم أدخلتموهم النار » يريد أنه قتل المسـلمين فدخلوا الجنة ، وقتل المسلمون الكفار من قريش فأدخلوهم النار .

والحق أنه كان شديد العداوة للدين الحنيف ، فكان عنيفا في خصومته له ولأصحابه،ولولا أن الاسلام يجب ما قبله لكان حسابه عند الله عسيرا .

---

(١) ماسبذان : عدة مدن راجع معجم البلدان ٣٦٣/٧ .
(٢) الاستيعاب ٧٤٨/٢ واسد الغابة ٢٧٠/٣ .
(٣) الاستيعاب ٧٤٨/٢ واسـد الغابة ٤٠/٣ والمربـاع الربـع والمعشار : المغشر .
(٤) الاصابة ٢٧٠/٣ . (٥) سيرة ابن هشام ٣٧٧/٢ .
(٦) سيرة ابن هشام ٢٥/٢ .
(٧) أسد الغابة ٤٠/٣ والاستيعاب ٧٤٩/٢ .

اســــلامه :

وقد اسلم ضرار يوم فتح مكة فحسن اسلامه ، فلما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وارتدت العرب ، ثبت ضرار وأهل مكة على الاسلام فكان أهل مكة من الدعامات القوية التى دافعت عن حياض الاسلام •

جهـــاده :

شهد ضرار يوم (اليمامة) تحت راية خـــالد بن الوليد فلما انتهت حروب الردة توجه خالد الى العراق ، وكان ضرار مع قوات خالد ، فشهد كل معارك العراق التى خاضــها خالد هنـــاك وكان هو الذى حاصر قصر الغريين فى فتح الحيرة ، وتحرك ضرار مع خالد الى أرض الشام بعد نقله اليها من العراق ، فقد كان من جملة من اختاره خـــالد ليعاونه فى مهمته الجديدة ، فشـــهد تحت لواء خالد كافة معاركه فى طريقه من العراق الى أرض الشام ، كما شهد معه معركة اليرموك الحاسمة وشهد مع أبى عبيدة ابن الجراح فتح الشام ، وشهد القادسية ، وفى هذه المعركة غنم ضرار علم الفرس الأكبر ، فعوض منه ثلاثين ألفا ، وكانت قيمته ألف ألف ومائتى ألف — كما شهد ضرار فتح المدائن القديمة على الضفة الغربية من النهر — وحينما رأى ضرار ايوان كسرى نادى بأعلى صوته (الله أكبر هذا أبيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله) وكبر ضرار وكبر الناس معه،كما شهد معركة (جلولاء) تحت لواء هاشم بن عتبة الزهرى كما فتح سهل ماسبذان وكان فتحها بعد فتح حلوان[1] •

الشـــــاعر :

وكان ضرار من شعراء قريش المطبوعين المجودين ، ولم يكن فى قريش أشـــعر منه — ويحكى أن عبد الرحمن بن عوف كان فى

---

(١) وانظر قصة كاملة فى الاصابة ٣/٢٧٠ وانظر نماذج من شعره قبل اسلامه فى سيرة ابن هشام ١/٤٨ ، ٢/٥٩ ، ٢/٣٧٧ ، ٣٩٧٢ ، ٣/١٠٢ ، ٣/١١٢ ، ٣/١٥٠ ، ٣/٢٧٥ .

طريقه الى مكة فقال لرجل « غننا » فقال عمر بن الخطاب : « ان كنت آخذا فعليك بشعر ضرار بن الخطاب مما يدل على اعجاب الناس وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بشعر ضرار المتين •

وشعره كثير وسنورد بعض ما قاله فى الجاهلية وفى الاسلام كنماذج لشعره الرائع فمن شعره فى الجاهلية قوله فى مدح أم غيلان التى أراد قومها قتل ولدها غيلان فقامت دونه وخلصته من القتل(٢) :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا ... ونسوتها اذهن شعث عواطل(٣)
فهن دفعن الموت بعد اقترابه ... وقد برزت للثائرين •• المقاتل
دعت دعوة (دوسا) فسالت شعابها ... وسالتبها الشراجثم القوابل(٤)
وعمرا جزاه الله خيرا فماونى ... وما بردت منه لدى المفاصل
فجردت سيفى ثم قمت بنصله ... وعن أى نفس بعد نفسى أقاتل

وقال يخاطب النبى ﷺ بعد الفتح(٥) :

يا نبى الهدى اليك التجائى ... وقريش وأنت خير لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ... ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على ... القوم ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر ... بأهل الحجون — والبطحاء

وقال فى أسر قائد الفرس فى معركة (ماسيدان) :

ويوم حبسنا قوم (آذين) جنده ... وقطراته عند اختلاف العوامل
وزرد وآذينا وفهدا وجمعهم ... غداة الوغى بالمرهفات الصواقل
فجاءوا الينا بعد غب لقائنا ... بما سبذان بعد تلك الزلازل

لقد كان ضرار فحلا ، لا تقل شهرة شعره عن شهرة فتوحاته • توفى ١٧ هـ (٦٣٨ م) •

---

(١) شعث : متغيرات الشعر ، عواطل ما تعطلت من الحلى •
(٢) دوس : اسم قبيلة عربية ، والشعاب جمع شعب ، والشراج جمع شرجه وهى مسيل الماء ، والقوابل التى تقابل بعضها بعضا • بعضها بعضا •
(٣) الاسيعاب ٢/٥٩٨ •

ضرار فى التاريخ :

يفخر الشعراء بضرار شاعرا مجيدا ، ويفخر الفرســان بضرار فارســا مغوارا ، ويفخر الابطــال بضرار بطــلا مقداما ، أما القادة فيفخرون به قائدا فاتحا ضم الى ربوع بلاد المسلمين منطقة واسعة لاتزال تدين بالاســلام ، رضى الله عن الشــاعر الفارسى — البطل الفاتح ضرار بن الخطاب القرشى الفهرى .

نافع بن الأســـود (أبو نجيد)

نافع بن الأسود بن قلبه بن مالك التميمى شاعر أسيدى ، عرف بعد مشاركته فى اخماد حركة الردة وكأن من جنود خالد بن الوليد فى معركة اليمــامة ، وقد أبلى بلاء حســنا مع المؤمنين الذين آمنــوا بالاسلام وجاهدوا فى الله حق جهاده لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، ويعد م نالسابقين فى الاسلام ، ويبدو صدق ايمانه فى شعره الذى أنشأه فى الجهاد فاذا قرأت شــعره تصفحت بين سطوره قوة عقيدته وحسن بلائه وهو يقاتل الخارجين والمرتدين ويدافع عن بيضــة الدين ، وان هذا الايمــان القوى كان هو الزاد الوحيد للشاعر الذى ظل يمده بالقوة ، ويلهب فيه روح الحماس ليواجه به أعداء الله وتكون سلاحا له فى المواقف الحاسمة والتصدى للنزعات الشريرة ، وكانت الثقة بالنفس من خلال الاحتماء بالعشيرة تمثل حالة متميزة وجد فيها قومه حافزا يدفعهم الى المعارك ، وان هذا الاحتماء بالعشيرة كان حديث الضمير الجماعى الذى أصــبح صفة مشروعة ، وقدرة قتالية عريضة تتنبى فيه القبيلة الى جانب القبائل الأخرى مهمة الاضطلاع ، لأن الاحتماء بها ، والدعوة باسمها والاشارة بمفاخرها هى حالة من الاعتزاز فى اطــار الحس الكلى لمجموع القبــائل ، وهو استمرار لتراث عريق فى الحديث عن مجد القبيلة الذى تنبثق عنــه كل الاعتبارات وهذه الحــالة أصــبحت ميدانا من ميــادين التمادح والتفاخر فأبو نجيد يعتبر تميما قومه عتاد الحــرب وهم الناهضون اليها اذا ركب الفرسان ويتحملون مسئوليتهم فى اشتداد الأزمات ، ويمنعون دارهم من الأعداء عند احتدام الهياج :

بنو تميم عتاد الحرب قد علموا ... والناهضون اذا فرســانها ركبوا
والحــاملون اذا ما أزمة أزمت ... فعلالعشائر ان هموا وانضربوا
والفاصــلون اذا ما خطة جهلت ... عند الجموع وفيهم تفضل الخطب
والمانعــون من الأعداء دارهم ... عند الهياج اذا ما اهتزت الطنب
والواردون على كسرى مدائنــه ... قسرا ومن دونهــا بحر له لجب

---

(١) كتاب الغزوات لابن جيش ١٨٩ .

الى ان يقول : —

شعث عليها ليوت ما يجمجمها عند الصباح بها عجم ولا عرب
شمس بأيديهم سمر مثقفة وكل عضب له فى متنه شطب
اذا جلوها على الاعداء فى فزع لاحت كأن على أيديهم شهب

وهو يستمد من معدنه وحسبه ما يباهى به لأنه امتداد لهذا المعدن ، وصلة لهذا الفخر ، فهو من قوم لا تصيب اذا طعنوا الا المقاتل ، ويدعو للأيام الحاسمة معاشر تميم الذين يلبون دعوة الداعى ويجلون قتام اليوم الشديد ، ويسمو بهم الى كسرى ليولى مهزوما وهم أكفاء الملوك وأهل العز الثابت والأرومة الأصيلة وهم الذرى من معد ، وتميم فى استبسالها وجهادها صورة مشرقة ، وفى خصالها الحميدة حصيلة مآثر انسانية تضمن المال للجار ، وتطعم مادام الدهر ، وتبذل الندى للسائلين ، وتنفق المال لفك العناة وكشف المغارم ، وتقود الخيل العتاق الى العدا ضوامر لترد اعتداء ، ولتكسب فخرا أو تسجل محمدة وكان لها المرباع عند المقاسم وبهذا شرف الله قومه فى الزمان الأول يقول :

ونحن صبحنا يوم دجلة أهلها سيوفا وأرماحا وجمعا عرمرما
نراوح بالبيض الرقاق رؤوسهم اذا الرمى أضرى بيننا فتضرما
قتلناهم ما بين دجلة والقرى الى النهر وان حيث سار ويمما
أذقناهم يوم المدائن بأسنا صراحا وأسقينا الألائم علقما
سبقناهم لما تولوا الى الردى كؤوسا ملأناهن صابا وشبرما
أبيتم علينا السلم ثم رجعتم الى السلم لما أصبح السلم محرما
ويوم يطير القلب من نفراته ربطنا له جأشا وهجنا به دما
دعونا اليه من تميم معاشرا يجيبون داعيهم وان كان مجرما
يجلون فى اليوم الشديد قتامه عن الشمس والآفاق أغبر مظلما
وانا لنثنى الخيل حتى تملنا على الثغر غتال الكمى المصمما
سمونا الى كسرى فولى مبادرا بمعشر اذما أصبح الصدع أضخما
ألا أيهذا السائلى عن عشيرتى ستخبر عنهم ان سألت لتعلما

ويتحدث عن قومه فى الاسلام وأنهم أصبحوا سادة قادة قادوا

الناس الى المجد والسؤدد ، وهم مصـابيح ونجوم يقتدى بها وهم أكفاء الملوك العظام ، وأهل أرومة وأصـل ثابت ويقارن بين قومه فى الاسـلام والزمان الأول ففى الزمان الأول (قبل الاسـلام) تميزوا بالصفات العربية الأصيلةع من كرم الضيافة وحماية الجار ، وسيرهم الى الوغى فى عزيمة وجـلادة واصرار وفوزهم بالغنائم والنصر المؤزر وفى الاسلام ساروا بالناس الى الفضيلة وكانوا أئمة يهتدى بهم ، وليوثا ضراغم هبـوا لأهل الشرك وأذاقوهم الوبال والدمار بسيوفهم الصوارم •

وهم أهـل عـز ثابت وأرومة ... وهم من معد فى الذرى والغلاصم
وهم يضمنون المال للجار ما ثوى ... وهم يطعمون الدهر ضربة لازم
وكان لهـذا الحى منهم غنيمـة ... كما أحرزوا المرباع عند المقاسم
كذلك كان الله شرف قومنـا ... بها فى الزمان الأول المتقـادم
وحين أتى الاسـلام كانوا أئمة ... وقادوا معدا كلها بالخـزائم
الى عزة كانت سناء ورفعـة ... لباقيهـم تمضى وخـير مراغم
وهبوا لأهـل الشرك ثم تكبكبوا ... فطاروا عليهم بالسيوف الصوارم
فما برحوا يعصونهم بسـيوفهم ... علىالهام منهم والأنوفالرواغم
لدن غدوة حتى تولوا يسوقهم ... رجـال تميم جمعها غير نائـم
منالراكبينالخيل شعثا الى الوغى ... بصم القنا والمرسفات القواصم
فتلك مساعى الأكرمين ذوى الندى ... تميمك لا مسعاة أهـل الألائم

وشعر الأسود وثيقة لتخليد الوقائع وتسـجيل لحركة التحرير المتمثلة فى الورود على كسرى ، ودخـول المدائن قسرا ، وتجاوزهم لجيوش الفرس على كثرتها ، والتوغل فى أعماق ديارهم على الرغم من اعدادهم الهائلة ووصولهم الى قصر كسرى بعد أن أنهزمت جيوشه وفرت بقاياه الى آخر المعارك الحربية التى ذكرها فى شعره ونلاحظ أن صوت الحرب فى هذا اللون الشعرى واضح متميز تعلو ألفاظه وتتحرك أدواته ، وتزجر دلالته فعتاد الحرب والفرسان والضرب والهياج ، والفزع والحروب ، والليوث الضراغم كلها صور وألفاظ حربية تعطى

قصائده لونا حربيا ، وتزين المضامين التى يقف عليها بوشاح الأدوات المقاتلة .

ان الفاظ الطعن ، وأدوات القتال ، والكتائب والجهاد والوغى وصم القنا ، والملاحم وغيرها من الألفاظ التى كانت تتناثر فى شعره وهو يؤرخ لكل معركة ويصور كل بطولة ، ويتحدث عن طبيعة القتال واستخدام السلاح واشكاله وهيئاته ، ويركب العبارات التى تضفى على الألفاظ صيغ المجاز والاستعارة لتكون أوضح فى التحبير ، وأجمل فى التناول .

أبـو مفــزر الأسـود

هو أبو مفزر الأسود بن قطبة يعد من طليعة الشـعراء الأبطال الذين شاركوا فى المعارك الاسلامية دفاعا عن بيضة الدين ، وذودا عن راية الاسلام لتكون كلمة الله هى العليا — وكلمة الذين كفروا السفلى .

وأبو مفزر من الأبطال الذين شاركوا فى فتح العـراق وأرخوا لبعض الوقائع التى خاضـها جيش المسـلمين وقد أظهـر من البلاء ما يحمد عليه وقدم من ضروب الشجاعة والفداء ما جعله فى مصـاف الفرسان المتقدمين وقد ذكره الامام الطبرى فى تاريخه سنة ١٠٤ هـ فى حديث القطائع حيث أقطعه عمر (دار الفيل) .

وفى السنة السادسة عشرة وعند محاصرة العرب لبهرسير بدره الناس لمخاطبة رسـول الملك الفارسى ، والرواية تذكر ان الله أنطقـه بما لا يدرى هو ولا يدرى أصحابه ما قال[1] . وينتدب أبو مفزر بعد نزول سعد « بهرسير » وستون رجلا ليمنع الفرائض ويحمى المقاتلين عند العبور ، وقد أمن أداء المهمة ، ومكن الجند من العبور وتسـجيل الانتصار الحاسم[2] .

وتعود سيرة أبى مفزر الى الظهـور فى وقعة جلولاء وقد أسند اليه بعث السبى[3] وفى فتح الرى وفد بالأخماس فى وجوه من وجوه أهل الكوفة وكان ذلك سنة اثنين وعشرين ، وفى سنة اثنتين وثلاثين اتجه صوب القسـطنطينية بصـحبة يزيد بن معاوية ، وعلقمة بن قيس ، ومعضد الشيبانى ويأخذ طريق الربذة بعد أن شـهد وفاة أبى ذر الغفارى فى السنة نفسها وكل ما نقله الطبرى عن هذه الشخصية الفذة تؤكد منزلته الرفيعة وحكمته فى التعامل ، والثقة العالية التى تتمتع بها وهو يتسلم مثل هذه المهمات وعلى امتداد أكثر من ستة عشر عاما ،

انظر الشعر والشعراء ١/٢٢٠/٢٢١ وتاريخ ابن عساكر ٤/١١١ والارشاد ٤/١١٥ .

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٣٠/٥٨٩ .

(١) تاريخ الرسل والملوك الطبرى ٤/٧ .

(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ٤/٩ .

(٣) الطبرى الرسل والملوك ٤/١٥٠ .

كما يؤكد دوره فى المواقع الرئيسية والمركزية لقيادات الفتوح ، وتؤكد بروزه وجها من الوجوه المعتمدة ، وعقلا من العقول المدبرة واذا كان الطبرى قد أغفل ذكر أبى مفزر وهو يذكر يوم الثنى والزميل فان الشاعر قد فصل ذكرها ، ووقف على أسماء الرجال الذين أحيا بهم سيوف المسلمين ، فالهذيل الذى كان مع روزبه قد ولى هاربا بعد أن جرد المسلمون منهم السيوف ولم يفلت من ذلك الجيش أحد فأوى الى عتاب والزميل وداهمهم بالبشر فى عسكر ضخم يقول فى ذلك :

وسائل بالهذيل وما يلاقى ... على الحدثان من بعث الحروب[٢]

وعتابا فلا تنسى وعمرا ... وأرباب الزميل بنى الرقوب[٣]

ألم نقتلهم بالبشر طعنا ... وضربا مثل تشقيق الضروب

نساقيهم بها حتى تملوا ... ذنوبا بعد تفريغ الذنوب

وليلى قد سبيناها جهارا ... وأروى بنت مرذن فى ضروب

وريحان الهذيل قد أصطفينا ... وقلنا دونكم علق الذنوب

وقد انتهت وقعة الثنى بانتصار المسلمين وارسال الأخماس الى أبى بكر الصديق مع الصباح المزنى ، ويسجل الشاعر فى هذه القطعة صورة الأنتصار الرائع الذى سجله المسلمون والهوان والذلة التى تجرعها المشركون الذين حاولوا ايقاف زحفهم والتعرض لنشر المبادىء الانسانية السامية .

ونرى الشاعر فى مكا نآخر يتحدث عن الأحداث التى وقعت بعد

---

(١) هو الهذيل بن عمران .

(٢) عتاب : هو عتاب صاحب الزميل وقد اوى اليه الهذيل هربا من جيوش المسلمين يوم وقعة الثنى والزميل عند البشر بالجزيرة شرقى الرصافة وهو الموقع الذى أوقع خالد فيه ببنى تغلب ونمير وغيرهم سنة ١٢ هـ أيام أبى بكر رضى الله عنه والبشر موقع من منازل بنى تغلب يمتد من عرض الفرات من جهة البادية وقد سمى باسم البشر بن هلال بن عقبة رجل من النمر بن قاسط وكان حضير الفارسى قتله خالد بن الوليد فى طريقه الى الشام بعد ان حاول منعه من اجتياز البادية شعراء اسلاميون ص ١١٩ .

(٣) ليلى هى ليلى بنت خالد واروى ابنة المؤذن النمرى وكانتا فى الاخماس التى ارسلت الى أبى بكر مع الصباح المزنى وريحانة هى بنت الهذيل بن هبيرة وكانت مع السبى كذلك نفس المرجع ص ١٧٠ .

فتـح الحيرة وأشـار الى النصر المؤزر الحاسـم الذى أفاءه الله على المسلمين ويذكر تقسيم الفيوء وما فرض على الاعداء من الجزية التى كانت سببا من أسباب اطلاق سراحهم وقد حفلت هذه الأيام كما يذكر الطبرى بالكتب والمواثيق التى ترتب العلاقة بين المسلمين وأهل هذه البلاد وهم يخضعون لما طلب منهم صلحا أو جزية أو اسلاما ـ يقول :

ألا أبلغا عنى الخليفـة أننـا ... غلبنا على نصف السواد الأكابرا
غلبنا على ماء الفرات وأرضـه ... عشيه جزنا بالسيوف الأكاسرا
فدرت علينا جـزية القوم بعد ما ... ضربناهم ضربا يعط الشوابرا[1]

ويقول أبو مفزر :

لقينـا يـوم أليس وأمغى ... ويوم المقـر آسـاد النهار
فلم أر مثلها فضـلات حـرب ... أشد على الجحاجحة ـ الكبـار
قتلنا منهم سـبعين ألفـا ... بقية حربهـم غب الاسـار
سوى من ليس يحصى من قتيل ... ومن قد غـال جولان الغبار[2]

ويقول فى هذا المعنى أيضا :

ألا أبلغا عنى العريب رسـالة ... فقد قسـمت فينا فيوء الأعاجم
ودرت علينـا جزية القوم بالذى ... فككنا به عنهم وثاق المعاصـم
فنحن أفأنا بالفرات أرضـه ... جميعا ولم نعدل بحز المقـادم
وحيثنهى اللجمى عندجلة السرى ... ورد الينا غربهـا بالطماطم[1]

ونرى أبا مفزر يؤرخ لما وقع بعد الحـيرة ، وما اقترن به هذا الفتح من أهمية فالرسول الكريم ﷺ قد ذكر فتح الحيرة،ولما فتحها خالد ابن الوليد صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يسلم فيهن[2] وقال فيها قولته المشهورة : لقد قاتلت يوم مؤته فانقطع فى يدى تسعة أسـياف ،

---

(١) الشبر : ما بين اعلى الابهام واعلى الخنصر وهو مذكور والجمع اشبار ، الابيات فى غزوات ابن حبيش الورقة ١٨٣ ،

(٢) الابيات فى معجم البلدان لياقوت وفى كتاب الفتوح لابن حبيش الورقة : ٣٤ ،

(٣) الطماطم : الأعجم الذى لا يفصح ،

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٣٦٦/٣ ،

وما لقيت كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوما كأهل أليس وكتب لهـم الكتب التى تعاهدهم على الجزية والمنعة سنة اثنتى عشرة والشاعر هنا يقف عند هذا الفتح الذى يغلب فيه الأكاسرة على (نصف السواد) و (ماء الفرات) وجيش المسلمين يجوز أكابر الفرس بالسيوف ويحملهم على دفع الجزية بعد أن خضد شوكتهم وحل نظامهم ووهن كيدهم ، وفرق كلمتهم بعد أن جـاء اليهم بقوم يحبون الموت كما يحب الفرس الحياة •

وقد سجل الشاعر أحداث القادسية فيذكر العذيب الذى صبحه بمـا أفـاء على المسلمين ، وهم يكبرون تكبيرة دوت لهـا الأرجـاء ، ويقسـم بالله أن هـذه التكبيرة لـم تكن الا تكبيرة قـوم عـرفت فيهم الغر :

نزلنا باحسـاء العذيب ولم تكن — لنا همة الا اغتيـال المنـازل
لنحوى أرضـا أو نناهب غارة — يصيح لها ما بين بصرى وبابل[٣]

ويخاطب دجلة طالبا منها ان تشكر الله جل جلاله الذى أرسل اليها هؤلاء الجنود الفاتحين ليشرفوا قراها التى تحولت الى جنات فيحاء بفضل هؤلاء البواسل المخلصين من حمـاة الاسـلام

يا دجـل ان الله قد أشـجاك
هـذى جنـود الله فى قـراك
فلتشـكرى الذى بنا حـاباك
ولا تروعى مسـلما أتـاك

كما يتغنى شـاعرنا أبو مفزر بفتح « بهرسـير » وكيف أذاق المسلمون الأعداء الهزائم المنكرة وكان ذلك فتحا عظيما للمسلمين :

زعمتم أننـا لكـم قطـين — وقول الفخر يخلطه الفجـور
جـريتم ليس ذلكم كداكـم — ولكنـا رحى بكـم تدور
ولو رامت جمـوعكم بلادى — اذن كرت رحـانا تسـتدير
فللنا حـركم بلـوى قديس — ولم تسلم هنالك بهرسـير

---

(١) غزوات ابن حبيش الورقة ١٦٠ وانظر شعراء اسـلاميون ١٢٣ ـ ١٢٤ .

فتحت البهر بســـير باذن ربى اعدتنى على ذاك الأمــــور
وقد عضــوا الشــفاه ليهلكونا ودون القـــوم مهراء جــرور
وطاروا قضة ولهــم زئـــير — الى دار وليس بهـــا نصـــير[1]

ومع هذا التسجيل التاريخى الذى حققه الشاعر ، والتواصـــل البطولى الذى شارك فيه ، فان شعره ظل بعيدا عن التناول الا من قطع قصـــيرة تداولها بعض المؤرخين وهى لا يمكن أن تكون بهذه الأحجام التى وردت فى هـــذه الكتب ، لأن هؤلاء المقـــاتلين عاشوا فترة طويلة ، وواكبوا أحداثا كبيرة ، وخاضوا معارك طاحنة ، وسجلوا مآثر خالدة وكانت لهم فيها أدوار مشهورة ، ولكن هذا الشعر الذى مازجه الصدق وعبر عن الحقائق وصـــدر عن عاطفة الرجال الذين عاشـــوا أحداث المعارك لم يجد ظله فى كتب التاريخ الا ما ندر كما أننا لم نجد لقائليه طبقة بين الشعراء وأوشكت شخوصهم أن تتضاءل وتذوب فى طيات الأحداث التاريخية لولا هذه الومضـــات المتبقية التى لمعت فى زهو الانتصـــار العربى وأشرقت فى احتدام المعارك الحاســـمة ، فكان لونهم البطولى ألقاشعا وأعمالهم الخالدة مآثر انسانية سامية .

(١) ارجع الى غزوات ابن حبيش الورقة ١٨٣ ب وشعراء اسلاميون .

ربيعـة بن مقـروم الضـبى

هو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جـابر بن خالد بن عمر وينتهى نسبه الى نزار الضبى وهو من شعراء مضر المعدودين ، أسلم وحسن أسـلامه[1] وقـد ذكـره ابن حجـر فى قسـم المخضرمين من الاصـابة[2] وقـد أسـلم وشـهد القـادسية وغـيرها من الفتوح وعاش مائة سنة وهو القائل فى ذلك .

ولقـد أتت مائة على أعـدها　　حـولا فحـولا ان بلاها مبتـل

ومن قصصه التى تحدثنا بها كتب الأدب أنه أسر واستيق ماله ، فخلصه مسعود بن سـالم بن أبى ليـلى بن ربيعة وفى ذلك يقـول مادحا له :

كفانى أبو الأشـوس المنكرات　　كفـاه الاله الذى يحـذر
أعز من السـيد فى منصـب　　اليـه العـزازة ـ والمفخـر

ويقول فيه أيضا من قصـيدة ضـمنها بعض الغزل الرائع وقد حاكى مقدمة القصيدة الجاهلية :

بانت سعاد فأمسى القلب معمودا　　وأخلفتك ابنـة الحر المواعيـدا
كأنها ظبية بكر أطـاع لهـا　　من حومل تلعات الجو أو أودا[1]
قامت تريك غداة البين منسـدلا　　تخاله فوق متنيها العنـاقيدا[2]
وباردا طيبـا عذبا مقبـله　　مخيفـا نبته بالظلم مشهودا[3]
وجسرة حرج تدمى مناسـمها　　أعملتهابىحتى تقطع ـ البيدا[4]

---

(١) ارجع الى مختـار الاغـانى ٤/٦٣ والعينى ٣/٢٢٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى والخزانة ٣/٥٦٦ .

(٢) الاصابة ١/٥١١ .

(٣) أطاع : كثر المرتع واتسع ، والتلعات : جمع تلعة بسكون اللام وهى من الأضداد تكون لما ارتفع وانخفض ، حومل والجووأود : مواضع .

(٤) منسدلا : يريد شعرها المسترسل .

(٥) وباردا عنى به ثغرها ، وكلمـا برد الثغر كان اطيب لريحـه المخيف مثل المخلل اى قد خيف بالظلم وهو ماء الاسنان واذا صفت ورقت كان لها ظلم ، مشهودا : كأن طعمه طعم الشهد .

(١) الجسرة : الناقة ، الحرج : الطويلة على وجه الأرض ، أعملتها سرت عليهـا .

كلفتها فرأت حقـــا تكلفـــه ... وديقة كأجيج النار صيخودا[٥]

فى مهمه قذف يخشى الهــلاك به ... أصداؤه ماتنى بالليل تعويدا[٦]

ثم يذكر بهجته وغبطته بلقاء مسعود الذى خلصـه من الحبس فقـال :

لما تشـــكت الى الأين قلت لها ... لا تستريحين ما لم الق مسعودا[٤]

ما لم ألاق امرأ جزلا مواهبـه ... سهل البناء رحيب الباع محمودا[٥]

وقد سـمعت بقوم يحمدون فلم ... اسـمع بمثلك لا حلما ولا جودا

ولا عفـافا ولا صـبرا لنائبـة ... وما انبىء عنك الباطل السيدا[١]

وقد سبقت أصيلات الجياد وقد ... أشبهت فى ذلك الصيد الصناديدا[٢]

هذا ثنائى بما أوليت من حسـن ... لا زلت عوض قرير العين محسودا

ولا عفـافا ولا صـــبرا لنائبة ... وما أنبىء عنك الباطل السـيدا

وقال يمدحه أيضا :

كفانى أبو الأشوس المنكـرات ... كفـــاه الالــه الذى يحـــذر

أعــز من الســـيد فى منصـب ... اليـــه العـــزازة — والمفخـر

والشاعر يتحدث عن أيام قومه فى الجاهلية ويسجل هذه الأيام ، ويذكر القبائل التى نكلت بها قبيلته ، ويعدد الرجال الذين كان لقومه شرف قتلهم ، وهو لا يبغى من وراء ذلك الا تذكير الأجيال بهذه المفاخر فيقـول :

بنو الحرب يوما اذا اسـتلأموا ... حسـبتهم فى الحديد القروما

---

(١) الوديقة : اشد الحر ، الصيخودا : الشديدة اى كلفتها وديقـة فرأت لنجابتها ما الزمتها حقا عليها .

(٢) المهمة القفر الذى لا ماء فيه ولا نبات ، القذف بفتحتين وبضمتين البعيدة الاصداء : جمـع صـدى وهو الذكر من البوم ، ماتنى : ما تقصر ومنـه التوانى .

(٣) الاين : التعب ومسعود والمراد به الممدوح .

(٤) جزل المواهب : كثير العطاء .

(٥) السيد هو ابن مالك بن بكر وهو الجد الأعلى للمادح والممدوح وقيل السيد : قوم ربيعة بن مقروم يقول لا أخبرهم عنك بالباطـل وانما امدحك بالحق .

(٢) الصـيد : جمـع اصـيد وهو الذى لا يلتفت من التكبـر الصناديد الكرام ، أراد بعوض الدهر وهى مبنى على الضم .

فدى ببزاحة أهلى لهم … اذا ملأوا بالجموع الجزيما
واذ لقيت عامر بالنسا … رمتهم وطخفة يوما غشوها
به شاطروا الحى أموالهم … هوازن ذا وفرها والعديما
وسارت لنا مذحج بالكلاب … مواليها كلها ـ والصميما
فدارت رحانا بفرسانهم … فعادوا كأن لم يكونوا رميما
بطعن بجيش له عاند … وضرب يفلق جيشا جثوما
وضحت بتيمن أجسادهم … يشيبها من رآها الهشيما
تركتنا عمارة بين الرماح … عمارة عبس نزيفا كليما
ولولا فوارسنا ما دعت … بذات السليم تميم تميما

وقد تحدث ربيعة عن صنيعه فى حرب القادسية وبلائه فيها ، وقد نعتها بمعركة (الفيول) لاشتراك الفيلة فى هذه المعركة ، ويبدو أن القصيدة نظمت على مراحل ، لأن الشاعر فى بعض أبياتها يفخر باقتحامه حوانيت الخمارين فيقول :

وشهدت معركة الفيول وحولها … أبناء فارس بيضها كالأعبل
متسربلى حلق الحديد كأنهم … جرب مقارفة عنية مهمل

ثم يقول :

فأتيت حانوتا به فصبحته … من عاتق بمراحها لم تقتل
صهباء صافية القذى أغلى بها … يسر كريم الخيم غير مبخل

وفى شعره أشارة الى أنه زار أبنية الملوك ودخل عليهم :

دخلت أبنية الملوك … ولشر قول المرء ما لم يفعل

وقد تجلى ايمانه بالله واعتقاده بالقدر وسخريته من سوانح الطير بقوله :

أصبح ربى فى الأمر يرشدنى … اذا نويت المسير والطلبا
لا سانح من سوانح الطير يثنى ولا ناعب اذا نعبا

تقويم شعره :

يعد شعر ربيعة الوثيقة الوحيدة التى تفسر لنا أحداث حياته ، وتوضح جوانبها وتكشف عن اتجاهاته الشعرية ، وطريقته التى كان

يسلكها فى نظمه — فنراه يسلك الطريقة القديمة فى مقدمة القصـيدة فيبدأ بالغزل ، ويذكر العهود والأيام ، فتهيج الذكـريات ، وتفيض الدموع سجوما :

لمن الديار كأنهـا لم تحـلل ... بجنوب أسنمة فقف العنصل[1]
درست معالمها فباقى رسـمها ... خلق كعنوان الكتاب المحـول[2]
دار لسـعدى اذ سـعاد كأنها ... رشأ غرير الطرف رخص المفصل[3]
شـماء واضحة العوارض طفلة ... كالبدر من خلل السحاب المنجلى[4]
وكأنما ريح القرنفـل نشرها ... أو حنوة خلطت خزامى حومل[5]

فربيعة شاعر تقليدى حتى فى الانتقال من الوقوف على الاطلال الى وصف ناقته وهو يجرى فى أوصاف هذه الناقة مجرى القدامى لأنه ينعتها بالأدماء ، والعيرانه ، والعذافرة وكناز البضع ، وجمالية ، ثم ينتقل الى تشبيهها — بالشتيم كما يشبه الأعشى ولبيد راحلتيهما وتكاد تكون صورته التى يذكر فيها حمار الوحش واتنه وما يصـادفها من متاعب وما يتعرضان له من مخاطر الواحا فنية رائعة تلوح فيها آثار الأعشى ولبيد :

وقفت اسـائلها ناقتى ... وما أنا أم ما سؤالى الرسـوما
وذكـرنى العهـد أيامهـا ... فهاج التذكر قلبـا سـقيما

(١) اسنمه : رملة ، وقيل اكمه معروفة بقرب طخفة وقيل أودية ، والقف : الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتد ، والعنصـل : بصـل معروف .

(٢) المحول : الذى اتى عليه الحول .

(٣) الرشأ : ولد الظبيـة اذا قوى ، والرخص : اللين النـاعم .

(٤) أصل الشمم : ارتفاع الأنف ، وهو كناية عن الكرم والرفعـة والعلو وشرف النفس ، والعارض : ما يعرض فى جـانب من السماء من السحاب وعلى ذلك العارض فى الأسنان ، ولهذا قيل العارضان لما يبدو من جانبيها ، المنجلى : المنكشف .

(٥) الحنوة : نبات سهلى طيب ، وقيل عشبه وضيئة ذات نور احمر ، ولها قضب وورق طيبة الريح ، وقيل الحنوة الريحانة ، والخزامى : نبت طيب الريح واحدته خزاما ، وقيل عشبه طويلة العيدان صغيرة الورق ، حمراء الزهرة طيبة الريح لها نور كنور البنفسج وضرب به المثل فى طيب الرائحة ، وحومل : موضع .

فأفاضت دموعي فنهنهتها   على لحيتي وردائي سجوما[1]
فعديت أدماء عيرانة   عذافرة — لا تمل الرسيما[2]
كناز البضيع جمالية   اذا ما بغمن تراها كتوما[3]
كأني أوشح أنساعها   أقب من الحقب جأبا شتيما[4]

وربيعة كثير التشبيهات المستقاة من بيئته دون مبالغة أو مغالاة ، فمحبوبته سعاد كأنها ظبية بكر ، وهي تريك منسدلا تخاله فوق متنيها العناقيد — كما استخدم ضروبا من الطباق والجناس والاستعارة والمجاز تحملنا على الاعتقاد بأن الشاعر كان يميل الى الصنعة في نظمه ، وكان الى جانب ذلك يميل الى استعمال الأدوات والصور والألوان •

ويقف ربيعة في صف الشعراء الفرسان في أوصاف الخيل لأنه أدرك قيمتها وعرف أهميتها ، فوصفها وصفا دقيقا ، ورفعها الى مصاف البشر ، تقديرا لها واعترافا بفضلها ويجمع مؤرخو الأدب على أنه كان أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية وذكره دعبل في طبقات الشعراء وقال حماد الراوية دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبح وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة ، وحكم الوادي وعمر الوادي يغنونه ، وعلى رأسه وصيفة تسقيه لم أر مثلها تماما وكمالا وجمالا ، فقال لي الوليد : يا حماد : اني أمرت هؤلاء ان يغنوا صوتا يوافق صوت هذه الوصيفة وجعلتها لمن يوافق قوله صفتها فما أتى أحد منهم بشيء فأنشدني أنت ما يوافق صفتها وهي لك فأنشدته قول ربيعة :

دار لسعدى اذ سعاد كأنها   رشأ غرير الطرف رخص المفصل

فقال لي الوليد أصبت وعلق صاحب الأغاني بعد ذلك بقوله : « وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه[*] •

---

(١) نهنهتها : كففتها ، سجوما : متتابعة •

(٢) الأدماء : البيضاء أراد الناقة ، وعديتها : عزلتها لرحلي واخترتها ، العيرانة : التي تشبه بالعير لصلابتها والعذافرة : الفخمة ، الرسيم : ضرب من السير •

(٣) الكناز : المكتنزة ، البضيع : اللحم ، الجمالية : التي تشبه الجمل ، البغام : ضرب من الرغاء ليس بالشديد الكتوم : التي تكتم الرغاء •

(٤) الانساع : سيور عراض تشد بها الرحال ، وتوشيحها : شدها الأقب : الضامر ، والحقب : جمع أحقب وهو الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض ، الجأب : الغليظ ، الشتيم : الكريه الوجه •

(*) انظر الأغاني ٩٢/١٩ والشعر والشعراء ٢٣٦ والاصابة ٥٦١/١ •

خفــاف بن نــدبة

نســبه وأسرته :

هو خفاف بن ندبة بن عمـير بن الحــارث بن الشريد بن رباح السلمى ، وأمه ندبة (بضم النون وفتحها) وكانت سوداء حبشية واليها ينسب ولقب بالسلمى نسبة الى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفه ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار وهو من شعراء بنى سليم الذين عرفوا بأمهاتهم وعده ابن قتيبة فى المنسوبين الى غير عشــائرهم وآبائهم أما كنيته فأغلب المصادر تشير الى أنه أبو خراشة وله يقول عباس بن مرداس السلمى وكان يهاجيه :

أبا خراشــة : أما أنت ذا نفر　　فان قومى لم تأكلهم الضــبع

وهو من أغربة العرب اذين اختلف فى عددهم فقيل ثلاثة : عنترة وأمه زبيبة سوداء ، وخفاف بن عمير الشريدى من بنى سليم وأمه ندبة واليها ينسب وقد سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بنى الحارث ابن كعب ، ووهبها لابنه عمير فولدت له خفــافا ، والســليك بن عمير السعدى ، وأمه سلكه واليها ينسب .

وخفاف شاعر مخضرم عاش فى الجاهلية دهرا ثم أدرك الاسلام فأســلم ، ولم تمتد به الحياة طويلا لأنه مات فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وحياة هذا الشاعر غير واضحة المعالم ، وتعد مهاجاته للعباس بن مرداس من أوضح المعالم البارزة فى حياته لأنه أظهر فيها شخصيته ، وصور صفاته وأبرز الجوانب الحقيقية التى كانت تدور فى نفسه وقد خدمته هذه المهاجاة أكثر مما خدمه شىء آخر .

وقد ذكر صاحب الأغانى أسباب المهاجاة فقال : ان خفافا كان فى ملأ من بنى سليم فقال لهم[1] ان عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس ويأبى ذلك عليه خصال قعدن به — فقال له رجل من رهط العباس ، وما تلك الخصــال يا خفــاف قال اتقاؤه بخيله عند

---

(١) الأغانى ٣٤/١٦ ساسى .

الموت ، واستهانته بسبايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكالبته للصعاليك على الأسـلاب ، ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى الى العباسى فأخبره الخبر فقال العبـاسى يا ابن ، ان لم أكن كالأصـم فى فضله ، فلست كخفاف فى جهله ، وقد مضى الأصم بما فى أمس وخلفنى بما فى غد فلما أمسى تغنى وقال :

خفـــاف ما تزال تجـــر ذيلا	الى الأمر المفـارق للرشـــاد
اذا ما عاتبتك بنـــو ســليم	ثنيت لهم بداهيـــة ـ نآد[1]
وقد علم المعاشر من ســليم	بأنى فيهـم حسن الأيـادى
فأورد يا خفـــاف فقـد بليتم	بنى عوف بحيـة بطن واد[2]

قا لثم أصبح فأتى خفافا وهو فى ملأ من بسنى سليم فقال : قد بلغتنى مقالتك يا خفاف والله لا أشتم عرضك ، ولا أسب أباك وأمك ، ولكن رمى سوادك بما فيك ، وانك لتعلم أنى أحمى المضاف وأتكلم على السبى ، وأطلق الأسير ، واصون السبية ، وأما زعمك أنى اتقى بخيلى الموت ، فهات من قومك رجلا أتقيت به ، وأما استهانتى بسبايا العرب فانى أحذو القوم فى نسائهم بفعالهم فى نسائنا وأما قتلى الأسرى فانى قتلت الزبيدى اذ عجزت عن ثارك ، وأما مكالبتى الصعاليك على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط الا نلت سالبه ، وأما تمنيك موتى فان مت قبلك فاغن غنائى ، وان سليما لتعلم أنى أخف عليهم مؤنة وأثقل على عدوهم وطأة منك ، وانك لتعلم انى ابحث حمى بنى زبيد وكسرت قوى بنى الحارث واطفأت جمرة خثعم ، وقلدت بنى كنانة قلائد العار ثم انصرف ، ويقول ابن قتيبة ان الأمر قد تمادى بينهما الى أن احتربا[3] ، وكثرت القتلى بينهما مما حمل الضحاك بن عبد الله السلمى وهو صاحب أمر بنى سليم الى أن يطلب اليهما الكف عن ذلك ، وان يحطا رحل هذه المطيـة النكداء وينحرفا عن هذا الرأى الأعـوج ولكنهما لجا وأبيا ثم أتاهمـا دريد بن الصـمة ومالك بن عـوف النضرى رأس هـوازن

---

(١) نآد والنآدى : الداهية الشديدة .
(٢) حية بطن واد : اى بداهية خبيث .
(١) الشعر والشعراء ٦٣٢ بيروت .

وطلبا منهما مثل ما طلب الضحاك فندم العباس وقال قصيدته التى مطلعها :

ألم ترأنى كرهت الحروب	وانى ندمت على ما مضى
ندامة زار على نفسه	لتلك التى عارها يتقى

فأجابه خفاف :

أعباس اما كرهت الحروب	فقد ذقت من عضها ما كفى
أألقحت حربا لها درة	زبونا تسعرها باللظى
فلما ترقيت فى غيها	دحضت وزل بك المرتقى
فأصبحت تبكى على زلة	وماذا يرد عليك البكا
فان كنت اخطأت فى حربنا	فلسنا مقيليك ذاك الخطا
وان كنت تطمع فى سلمنا	فزاول ثبيرا وركنى حرا

وفى هذا الرد تتجلى منزلة خفاف ، ويتضح مركزه فهو رأس جماعة تأتمر بأمره ، وفارس قبيلة تسير وراءه ، وقد أظهر خفاف ضروبا من هذه الشجاعة والدراية بأساليب الحرب والمعرفة بفنونها فى مواطن كثيرة (أنظر الأغانى ١٣/ ١٣٤ — ١٣٥ (ساسى) وابن عبد ربه فى العقد الفريد ٥/ ١٦٣) .

وعده الجاحظ والعباس بن مرداس وابنا شداد وعنترة الفوارس وأخاه هراسه وسليك بن السلكة ، اسد الرجال ، وأشدهم قلوبا وأشجعهم بأسا وبهم يضرب المثل (راجع فخر السودان على البيضان) الى جانب العبارات التى أوردها القدامى فى تأكيد هذه الفروسية والشجاعة فقد نعته ابن دريد بأنه من فرسان العرب (ابن دريد الاشتقاق ص ٣٠٩) وقال عنه أيضا بأنه أحد سودان العرب وفرسانها ووصفه الآمدى بأنه فارس مشهور (المؤتلف والمختلف ١٥٤) .

ومن الطبعى أن توضح لنا هذه الآراء بطولته وشجاعته وفروسيته ومكانته وقدرته على تصدر هذا المركز الذى تبوأه ، لأن الفارس لا يمنح هذا اللقب الا بما يثبت به أنه أهل له وسط مجتمع تألقت فيه البطولات وتسابق فيه الفرسان ، وسادت فيه القوة ، وتحكم فيه السيف فى كثير من الأحيان .

أما مشاركته فى الأحداث الاسلامية فهو صحابى جليل ، أسلم قبل الفتح وشهد مع النبى فتح مكة ومعه لواء بنى سليم وشهد موقعتى حنين والطائف وثبت على اسلامه فى الردة وعادى قومه وتبرأ منهم وقال :

لا دينكم دينى ولا أنا كافر   حتى يزول الى الطراة شمام

ومدح أبا بكر الصديق (رضى الله عنه) لأنه قاوم المرتدين وأعادهم الى جادة الاسلام وروى عن النبى ﷺ بعض الأحاديث (انظر أسد الغابة ٢/١١٨ — ١١٩ والاستيعاب ٢/٤٥٠ — ٤٥١) .

وفى هذه المواقف تتجلى شخصية خفاف الاسلامية ، ويبرز صدق عقيدته فى الذود والدفاع عن المثل العليا التى جاء بها الاسلام .

ومعظم شعره قاله فى مهاجاته للعباس بن مرداس وفى الأغراض الجاهلية التى يسجل فيها تاريخ حياته وأخبار مغامراته وتعد مجالا فسيحا بسط فيها مفاخره ومفاخر قومه ومآثره ومآثر قومه وبطولاته وبطولاتهم وقد تجلت هذه الميزة فى قصائده المختارة فى الأصمعيات ومنتهى الطلب :

أما قصائده المذكورة فى الأغانى فتتسم بطابع المهاجاة التى يتضح فيها فن النقائض بأكمل أشكاله ، وأوضح صوره ، وتبدو معالمه التى بنى عليها هذا الفن ، الى جانب جريانها فى حدود قبيلة ملحوظة المكانة من قيس عيلان ، وان عناصر هذه النقائض كانت فى كثير من الأحيان ، فضائل اجتماعية ، حتى اذا اشتد أوارها ، ودعت الى القتال ، وجدت من يحد من سورتها ويخفف من غلوائها ثم عادت قوية ، وكانت فى معظم معانيها وأشكالها تأخذ طريق قلب المعانى والموازنة والتكذيب مع غلبة الفخر عليها .

وهى نقائض تستحق الدراسة المستفيضة لأنها توضح جوانب عديدة من هذا الفن وتكشف عن التطور المتكامل الذى صاحبه فى العصر الجاهلى ومن هذا الفن قوله فى العباس :

أرى العباس ينقص كل يوم   ويزعم أنه جهلا يزيد
فلو نقضت عزائمه وبادت   سلامته لكان كما يريد

ولكن المعــــايب أفســــدته وخلف فى عشــيرته زهيــــد[1]
فعبــاس بن مرداس بن عمــرو وكـــذب المرء أقبح ما يفيــد
حلفت بربب مكــة والمصــلى واشـــياخ محلقـــة تهود[2]
بأنك من مودتنـــــا قـــريب وأنت من الذى تهـــوى بعيــد
فأبشر ان بقيت بيوم ســـوء يشـــيب له من الخوف الوليد
كيومك اذ خرجت تفوق ركضـا وطــار القلب وانتفخ الوريــد[3]
فدع قول الســـفاهة لا تقــله فقد طــال التهـــدد والوعيــد
رأينـــا من نحـــاربه شـــقيا ومن ذا يا بنى عوف ســـعيد

وقد أجاد خفاف فن الوصف لأنه شغف بالبادية ، وما فيها من مظاهر مختلفة ، فوصف البرق والسحاب والمطر والرياح والسيل الذى يستخرج الضباب والذئاب ، ووصف الفرس على عادة الفرسان بأبيات تعد فى مقدمة أوصاف الشعراء لها ومن ذلك قوله :

بالضـــابع الضابط تقريبـــه اذ ونت الخيل وذو الشـــاهد

فهو يجانس بين الضابع والضابط ، وهذه المحســنات البديعية ظاهرة فى بقية شعره فتراه يجانس بين مطاعين ومطاعيم فى قوله :

أبى الشتم أنى سيد وابن سادة مطاعين فى الهيجا مطاعيم للجرم

أما منافراته ومفاخراته :

فقد افتخر بفروسيته ونجدته ، وفخر بالمروءة والصبر والنجدة وكرم النفس والكياسة وقيادة النفس وقيادة القوم . وممارسة الحروب ومزاولة الأسفار وقطع المفاوز والمهامه ومطاردة بقر الوحش وحمره ، وفخر بحمايته حقيقة قومه وادراكه الأبطال من خصومه ومن ذلك اللون قوله :

فلئن صرمت الحبل يا ابنة مالك والرأى فيه مخطىء ومصـــيب

---

(١) زهيد وزاهد : لئيم . (٢) تهود : تتوب .
(١) يقال طار القلب : اى مال الى جهة يهواها وتعلق بها والوريد الذى فى صفحة العنق ، ينتفخ عند الغضب ويوصف بهذه الصفة من كثر غضبه وساءت أخلاقه .

فتعلمى انى امـــرؤ ذو مـرة　　فيما ألم من الخطوب صليب[١]
أدع الدناءة لا ألابس أهلهـــا　　ولدى من كيس الزمان نصيب[٢]

وتفـزله :

يمشى فيه على طريقة القدماء كما قدمنا ولكن الصنعة تغلب على هذا الغزل لأنه كما يبدو غير صادر عن عاطفة جياشة وانما يسلك فيها مسلك القدامى فيبدأ بحديثه عن الطيف ، ويعجب لمسراه وكيف جاز الوديان واستقر لدى وساده ثم يستعيد ذكرى صاحبته خلسة ويبين لمحبوبته مدى صبره على حقائقها ثم يذكر الشباب الزائل ويبكى على أيامه المنصرمه ومن هذا اللون قوله كما قدمنا : —

يا من لقلب شـــديد الهم محزون　　أمسى تذكـــر ريا أم هـــارون
أمسى تذكرها من بعد ما شحطت　　والدهر ذو غلظـــة حينا وذو لين
فان يكن حبها أمسى لنا شـــجنا　　وأصـــبح الرأى منها لا يواتينى
فقد غنينا وشـــمل الدهر يجمعنا　　أطيع ريا وريا لا تعاصـــــينى
نرمى الوشـــاة فلا تخطى مقاتلهم　　بصادق من صـــفاء الود مكنون

أما رثاؤه :

فقد كان فيه صادق العاطفة يصدر عن قلب جبل على الحب والوفاء والمروءة .

وأشهر مراثيه تلك التى قالها يرثى الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه :

ليس لشىء غير تقـــوى جـعداء　　وكـــل شىء عمـــره ـــ للفنـــاء[٣]
والملك فى الأقوام مســــتودع　　عـــارية فالشرط فيـــه الأداء
ان أبا بكـــــر هـــــو الغيث اذ　　لم تشمل الأرض ســـحاب بماء
تالله لا يــــــدرك ايامــــــــه　　ذو طـــرة حاف ولا ذو حـــذاء

---

(١) الصليب ذو الصلابة يقال رجل صلب وصليب ، والمرة : القوة .
(٢) كيس الزمان : حنكته وتجاربه .
(٣) الجدا : المطر العام ، وغيث جدا لا يعرف اقصاه ، والجـدا : العطية وفى الحديث : اللهم اسقنا غيثا غدقا وجدا طبقا .

من يســـع كى يدرك أيامـــه يجتهد الشد بأرض فضـــاء[1]
المرء يســـعى وله راصـــد تنذره العـين وثوب الفـراء[2]
يهـزم أو يقتـــل أو يقهـــر يشكوه سقم ليس فيه شــفاء

ومن شعره الحكيم قوله :

اذا انا وافانى حمامى ومضجعى وســوى على جنـدل وكثيب
فكـل وفـــاء عند ذلك ميت وكل رجـــاء عنـد ذاك يخيب

وقد جعله ابن سلام فى الطبعة الخامسة من الفرسان وهو شاعر مجيد لا يصل فى شـاعريته الى الطبقة الأولى من الشـعراء الكبار ، ولا ينحدر الى طبقة الشعراء المغمورين[3] .

---

(١) اى يجتهد ويبلغ اقصى ما يمكن .
(٢) اى تنذر الراصد عينه ان يثبت على هذا المرصد ليختله .
(٣) شعراء اسلاميون ص ٤٤٥ .

عدى بن حاتم الطائى

هو عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس ابن عدى الطائى ولد الجواد المشهور أبو طريف ، أسلم سنة تسع وقيل سنة عشر وكان نصرانيا قبل ذلك ، وثبت على اسلامه فى الردة ، وأحضر صدقة قومه الى أبى بكر وشهد فتوح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع على كـرم الله وجهه ومات بعد السـتين وقد أسـن وبـلغ عشرين ومائة سنة وقال أبو حاتم السـجستانى بلغ مائة وثمانين قال ابن خليفة عن عدى بن حاتم ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وقال الشعبى عن عدى بن حاتم أتيت عمر فى أناس من قومى فجعل يفرض للرجل ويعرض عنى فاستقبلته ، فقلت أتعرفنى قال نعم آمنت اذ كفروا وعرفت اذا نكروا ووفيت اذا غدروا وأقبلت اذا أدبروا ان أول صدقة بيضت وجوه أصـحاب رسول الله ﷺ كانت صـدقة فى طى[٢] .

روى الامام أحمد فى مسنده عن عدى بن حاتم قال : « فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لى : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ثلاثا قال : قلت انى على دين . قال : أنا أعلم بدينك منك ، فقلت أنك أعلم بدينى ؟ قال : نعم الست من الدكوسيه[٣] .

وأنت تأكـل مرباع قومك ؟ قلت بلى قـال فان هذا لا يحل لك فى دينك قال : قلت نعم فلم يعد ان قالها فتواضعت لها ، قال أما انى أعلم الذى يمنعك من الاسلام ، تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم ، وقد رمتهم العرب .

أتعرف الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد سمعت بها قال فو الذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة[١] من الحيرة حتى تطوف

---

(١) اخرجه احمد وابن سعد وبعضه فى مسلم انظر الاصابة جـ ٤ ص ٢٢٩ .

(٢) دين بين النصارى والصابئين .

(٣) الظعينة : المرأة .

بالبيت فى غير جوار احد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز قال : قلت كنوز كسرى بن هرمز ؟ !

قال نعم كسرى بن هرمز وليبـذلن المـال حتى لا يقبله أحد قال عدى : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى والذى نفسى لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها قال عدى فأسلمت فرأيت وجهه قد استبشر وقال « ان المغضوب عليهم اليهود ، وان الضالين النصارى[1] .

ولقد أكرم الاسلام عدى بن حاتم فسطر التاريخ له صفحات من نور ، وما كان عدى يدرى بعد هذا كله أنه تنتظره فى مسـتقبل حياته مهمات جسام ، تتجاوز حدود طيىء ، وتترك آثارا وفتوحا فيما وراء جزيرة العرب ، وما كان يعلم أن اخلاقه الكريمة ومعدنه الأصيل ستجد فى مبادىء الاسلام وواقع الحياة الاسلامية تربة صالحة فتنمو وتزدهر وتثمر ، ويصبح عدى فى طليعة المسـلمين ومن خيارهم ، مسـلما تقيا وكريما نبيلا وسيدا مطاعا ، وجنديا مخلصا شجاعا فى جهاد أعداء الله ، وبطلا صنديدا فى حروب الردة يقاتل المرتدين حتى يعود الاسلام العظيم قويا كما كان ، منيعا فى وجوه المرتدين والمشركين ، ووقف بعقله الكبير ، وايمانه الراسخ فى وجه قبيلته طيىء حتى لا ترتد ، وتبين أن عديا ليس بالسابح الماهر الذى يستطيع أن ينقذ نفسه فحسب ، وانما هو ربان ماهر يعرف كيف ينقذ قومه من الغرق ويحفظهم من العواصف والأهواء ، ويوصلهم الى شاطىء الطمأنينة والسلامة والاسلام ولولا حكمة عدى وبراعته فى سياسة قومه وغيرهم من قبائل العرب لارتدوا عن الاسلام وكانت فرصة نادرة وذهبية لخالد بن الوليد أن يتعرف على قائد فذ حكيم ألا وهو عدى بن حاتم ليستعين به فى فتوحاته المختلفة وليضعه فى أول مستشاريه وخبرائه العسكريين ، ويعتمد عليه فى الملمات والنوائب بعد أن تيقن منه السداد فى الرأى ، والصـلابة فى دين الله ، ومحبة قومه وطاعتهم له وقد عرف عدى بدوره قائده المظفر خالد بن الوليد[2] وخبر

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٢٥٤ .
(٢) نفس المصدر ٢٥٥ .

شجاعته فى نصرة دين الله وانضوى تحت لوائه فى حروب الردة وحروب فتوح الشام والعراق روى الطبرى عن عدى بن حاتم قال : « بعثت الى خالد بن الوليد أن يسر الى فأقم عندى أياما حتى أبعث الى قبائل طيىء ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ثم أصحبك الى عدوك قال فسار الى .

وروى الطبرى أيضا عن سعد عن مجاهد أنه سمع أشياخا من قومه (طيىء) يقولون سألنا خالدا أن نكفيه قيسا فان بنى أسـد حلفاؤنا فقال : والله ما قيس بأوهن الشوكتين أصمدوا الى أى القبيلتين أحببتم فقال عـدى لو ترك هذا الدين أسرتى — الأدنى فالأدنى من قومى — لجاهدتهم عليـه ، فأنا امتنع عن جهاد بنى أسـد لحلفهم ! لا لعمر الله لا أفعل ! فقال له خالد : ان جهاد الفريقين جميعا جهاد ، لا تخالف رأى أصحابك وامض الى القوم الذين هم لقتالهم أنشـط فلله در عدى بن حاتم فى هذه المواقف البطولية التى تؤكد انه حقا خير مولود ولد فى أرض طيىء وأعظمه على قومه والمسلمين جميعا بركة وتثبيتا وكلما تقدمت به الشهور والسنوات وازدادت مسـئولياته فى نصرة الحق فى عقيدة وايمان تأكد فى سمع الزمن ورسخ فى تاريخ الأمة الاسـلامية أن أبا طريف الطائى من خيار الناس فى الجاهلية والاسلام .

عدى الفـــاتح والفارس والشـــاعر

وكما كان حضور عدى بن حاتم ظاهر وبارزا فى حروب الردة ، فان حضوره فى الفتوحات الاسلامية مع قبيلته طىء كان ظاهرا وبارزا أيضا ففى السنة العاشرة للهجرة جهز أبو بكر جيشا للمسير الى العراق وكان لابد أن يختار لهذا الجيش الفوارس الصناديد الذين يحرزون له النصر ويسيرون به الى الظفر فاختار عديا وبعض فرسان قومه للانخراط فى هذا الجيش يقول الامام الطبرى : « فرق خالد مخرجه من اليمامة جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طـريق واحدة ، فسرح المثنى قبـــله بيومين ودليله ظفر ، وسرح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو دليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر أحدهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد ودليـــله رافع ، فواعدهم جميعا الحفير ليجتمعوا به وليصـــادموا به عدوهم .

وفى الطريق الى الحيرة شهد عدى عددا من المعارك والانتصارات التى أظهر فيها خالد بن الوليد عبقرية فذة وبطولة نادرة وقيادة حكيمة وهناك عند قصور الحيرة رأى عدى بعينى رأسه تحقق المعجزة التى أخبر بها النبى ﷺ بقوله : (لتفتحن عليكم كنوز كسرى بن هرمز) .

ثم اشترك مع المثنى بن حارثة فى الفتوحات فشهد معركة الجسر التى ابتلى فيها المسلمون وسقط منهم أربعة آلاف شـــهيد ثم تتابعت المشاهد والفتوح وتوجت بانتصار القادسية والمدائن كما شهد عدى فتح جلولأ الوقيعـــة فى ذى القعدة سنة ست عشرة ، وقتـــل الله يومئذ من الفرس مائة ألف وغنـــم المســـلمون أموالا عظيمة وفى نهـــاية الســـنة السابعة عشرة اختط سعد الكوفة ، وكان عدى ممن ســـكنها وارتبطت مشاهده بفتوحاتها وأحداثها وكانت معركة نهاوند خاتمة جهاده وكفاحه التى شهدها عدى أميرا بلا منازع على فرسان قومه طىء ورجالاتهم .

وفى هامش كتاب (المعمرون) لأبى حاتم السجستانى « ولما غلب المختار بن أبى عبيد على الكوفة وقع بينهما تنـــاكر فهم عدى بالخروج عليه ثم عجز لكبر سنه وكان قد بلغ مائة وعشرين عاما » وقال فى ذلك :

أصبحت لا أنفع الصـــديق ولا أملك خيرا للشـــانىء الشرس
وان جرى بى الجـواد منطلقـا لا يملك الكف رجعـة الفرس[١]

ولكن أبا حـاتم السـجستانى رجع وقال وعاش عدى بن حاتم مائة وثمانين سـنة فلما اسن اسـتأذن قومه فى وطـاء يجلس عليه فى ناديهم وقال : انى أكره أن يظن أحدكم انى أرى عليه فضلا ، ولكنى كبرت ورق عظمى فقالوا ننظر فلما أبطأوا قال :

أجيبوا يا بنى ثعـل بن عمـرو ولا تخفوا الجواب من الحيـاء
فانى قـــد كبرت ورق عظمى وقل اللحـم من بعـد النقـاء
وأصبحت الغداة اريد شـيئا يقينى الأرض من برد الشـتاء
وطـاء يا بنى ثعـل بن عمـرو وليس لشـيخكم غير الوطـاء
فان ترضـوا به فسرور راض وان تأبـوا فانى ذو ابـاء
سـأترك ما أردت لما أردتم وردك من عصـاك من الغباء
لأنى من مسـاءتكم بعيـد كبعد الأرض من جو السـماء
وأنى لا أكـون بغـير قـومى فليس الدلـو الا بالرشاء

فأذنوا له أن يبسط فى ناديهم وطابت به أنفسـهم ، وقالوا أنت شيخنا وسيدنا وابن سيدنا وما فينا أحد يكره ذلك ولا يدفعه[١] .

وقبل أن نختم حياة عدى المباركة نذكر طرفا من مآثره الخالدة التى حق للتاريخ أن يكتبها بمداد من نور .

فمن عبادته وتقواه ما أخرجه ابن عساكر عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : ما جاء وقت الصلاة الا وقد أخذت لها أهبتها ، وما جاءت الا وأنا اليها بالأشواق[٢] الحديث .

ومن كرمه وجوده ، استعاره بعض أشراف الكوفة من عدى قدوره لوليمة له فنحر الجزر وملأها ، ثم حملت الى المستعير بالدهوق مملوءة وقال هكذا نعير قدورنا[٣] .

وقيل له فى جاهليته مالك لا تشرب الخمر قال : لا أشرب ما يشرب

---

(١) الطبرى ٣ : ٣٤٨ .
(٢) المعمرون ص ٤٧ .
(٣) نفس المصدر ٤٦ — ٤٧ .
(٤) حياة الصحابة ص ٣٤٥ ج ٣ المجد لابن حبيب ص ١٥٦ .

عقلى ويقل له فى جاهليته أيضا مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أن أصبح حليم قومى وأمسى سفيههم ومن أجوبته المسكتة انه دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال ابن الزبير يا أمير المؤمنين هجه فان عنده جوابا فقال معاوية أما أنا فلا ، ولكن دونك ان شئت ، فقال له ابن الزبير أى يوم فقئت عينك يا عدى ؟ قال فى اليوم الذى قتل فيه أبوك مدبرا وضربت على قفاك موليا فأفحمه(٤) .

وأتى سالم بن دارة عدى بن حاتم فقال له قد مدحتك فقال له أمسك عليك حتى أنبئك ما لى فتمدحنى على حسبه ، لى ألف ضائنة ، وألفا درهم ، وثلاثة أعبد وفرسى هذا حبيس فى سبيل الله فقل فقال :

تحن قلوصى فى معد وانما — تلاقى الربيع فى ديار بنى ثعل
وأبقى الليالى من عدى بن حاتم — حساما كلون الملح سل من الحلل
أبوك جواد ما يشق غباره — وأنت جواد ما تعذر بالعلل
فان تتقوا شرا فمثلكم اتقى — وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

فقال له عدى : أمسك عليك لا يبلغ مالى أكثر من هذا ، وشاطره ماله(١) .

---

(١) مجمع الأمثال للميدانى ٢/٢٢٥ .
(٢) الشعر والشعراء ص ٣١٦ وانظر عدى بن حاتم ص ١٢٣ .

الفصل الثالث

شـــعراء آخرون

النمر بن تولب

هو النمر بن تولب بن زهير ، وتجمع المصادر على أنه أحد أجواد العرب ، وفرسانهم المشهورين وقد عرف عنه بأنه كان واسع القرى ، كثير الاضياف وهابا لماله ، لا يحبس شيئا منه ، وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه شعره بشعر حاتم الطائى وقد رويت عن بذله بعض الأخبار فقد ذكر أبو الفرج أن النمر بن تولب بعد ما كبر ، خرج فى ابله فسأله سائل فأعطـاه فحل ابله ، فلما رجعت الابل اذا فحلها ليس فيها ، فهتفت به امرأته وعذلته وقالت فهلا غير فحل ابلك فقال لها[1] :

دعينى وامــــرى ســــأكفيكه ... وكــونى قعيدة بيت ـــ ضــياعا
فانك لن ترشـــدى غـــاديا ... ولن تدركى لك حظا مضــــاعا

وقال أيضا فى عذلها اياه :

بكـــرت باللـــوم تلحـــانا ... فى بعــير ضــل أوحـــانا
علقت لوا تكـــــــــررها ... ان لوا ذاك أعيـــــــــانا

ويتضح التشابه بين شعره وشعر حاتم فى بعض قصـائده التى قالها وهو يلوم عاذلته :

أعاذل ان يصبح صــداى بقفرة ... بعيدا نآنى صــاحبى وقريبى
ترى أن مــا ابقيت لم أك ربه ... وان الذى أمضيت كان نصيبى
وذى ابل يسعى ويحســـبها له ... أخى نصب فى ســقيها ودؤوب
غدت وغدا رب سواه يسوقهــا ... وبــدل أحجـارا وجـال قليب

والأبيات فى روحها ومعانيها وفكرتها تقرب من روح حاتم ومعانيه وفكرته ، واذا قارنا هذه الأبيات بأبيات حاتم التى يقول فيها :

أماوى ان يصبح صــداى بقفرة ... من الأرض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن مــا ابقيت لم أك ربــه ... وان يدى مما نحلت به صـــفر

---

(١) ابو الفرج : الأغانى ١٩/١٥٨ .

وجدنا أن التقارب بين الأفكار واضح ، وأن أصالة الكرم التى ينبعث منها النمر فى العطاء والسخاء تكاد تكون قريبة من الروح السخية التى اندفع منها حاتم وقد ارتسمت عند كليهما معالم الايثار ، فلم تستعبدهما المادة ، وان كل واحد منهما يرى أن الحياة بذل وعطاء وان المال خلق لاكتساب الثناء والذكر الحميد ، ومن هنا كان المال عند النمر وسيلة لا غاية فهو يوظفه للبذل والعطاء لأن العيش فى نظره قصير ، والحياة فانية ، وخير ما يتركه الانسان على الأرض ذكر طيب ، وثناء يردده الناس فى كل مكان وقد صارت هذه المعانى الرفيعة تسمو فى قصائده حتى أصبحت اصلا من أصول شعره واتجاها بارزا من اتجاهاته المتميزة ، فاذا عاتبته زوجته على كرمه ولامته على بذله وعطائه أجابها :

لا تجزعى ان منفسا اهلكته ... واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى
فاذا أتانى اخوتى فدعيهم ... يتعللوا فى العيش أو يلهوا معى
لا تطرديهم عن فراشى انه ... لابد يوما أن سيخلو مضجعى

ان هذه الأفكار التى لمعت فى قصائده وأبياته كانت صورة حية لنفسه الكريمة ، وخلقه السخى وايمانه الثابت ببقاء العمل الخالد .

ولم يكن الكرم وحده الصفة البارزة فى حياة هذا الرجل وانما هناك مجموعة وفيرة من الصفات يستطيع المتتبع لشعره أن يستقرئها ، وهى على الغالب صفات حميدة ، وخصال رفيعة ، تدل على نفس طاهرة وقلب سليم يسعى الى المكارم ويتحلى بالخلق الرفيع فهو لا يخون ابن عمه فى حليلته وهو يحرص ان يمضى لملاقاة ربه نقيا لا يدنسه عار :

لا يعلم اللامعات اللامحات ضحى ... ما تحت كشحى ولا يعلمن أسرارى
ولا أخون ابن عمى فى حليلته ... ولا البعيد نوى عنى ولا جارى
حتى يقال اذا وريت فى جدثى ... لقد مضى نمر عار من العار

وهو فارس يعتز بسيفه وفرسه (صهبى) ويبالغ فى وصفها ، ويفرط فى وصف سيفه افراطا يعاب عليه الغلو :

أبقى الحوادث والأيام من نمر ... أسباد سيف قديم اثره بادى
تظل تحفر عنه ان ضربت به ... بعد الذراعين والساقين والهادى

وهو بطل يقتفى آثار الخصوم ويشهد المعارك ويثبت يوم الجلاد :

سـمونا ليشـكر يوم النهى   نهز قنـا سمهريا طـوالا
فلما التقينـا وكان الجـلاد   أحبوا الحيـاة فولوا اشلالا

الى غير ذلك من الأغراض الشعرية التى شارك فيها شاعرنا النمر بن تولب ، وهى تمثل السمات البارزة فى شـعره ، وهى فى الغالب صـورة تترك فى نفس القارىء احساسا مشرقا من الخلق النبيل الذى تمثل فى حياته وهى صـور يتخللها الايمان بمكارم الأخلاق والدعـوة الى القيم النبيلة •

شـعره :

يعد شعر النمر — صورة صادقة لحياته ونفسه وظروفه وهو على قلته يرسم الصورة الطبيعية له ، وقد برزت خلال قصائده مجموعة من الظواهر يمكن الاهتداء بها لتوضيح الجوانب الغامضة التى اكتنفت حياته ، على أننا نستطيع أن نثبت بعض الحقائق التى لمسناها من خلال قصائده التى وصلت الينا •

فالنمر لم يكن من الشعراء الذين سخروا شعرهم للتكسب ولم يقل فى المدح الا قصيدة واحدة يمدح بها الرسول الكريم ﷺ أما الهجاء فلم يجد فى شعره طريقا للظهور ، وهى ميزة ترسم لنا نفس الرجل التى وطنت للخير ، وجبلت على حب الخلق الرفيع ، بعد أن ابتعدت عن كل ما يدفعها الى الذل ويحملها على الخضوع ، ويبدو أن الخصائص النفسية التى اتسم بها الشاعر هى التى حددت له المعالم البارزة لهذا السلوك الشعرى وهى التى رسمت له الطريق للاغراض الشعرية أو الاتجاهات الشعرية •

وقد التزم النمر فى بعض قصائده طريق القدامى فى بناء القصيدة من حيث المضمون والشكل فهو يقتفى آثارهم فى البناء التقليدى — كما قدمنا — فيقف فى الموضع الذى وقفوا فيه ، ويسـتجيب للظاهرة التى تؤثر فيه ، ويشبه فى الأماكن التى شبه بها القدامى ، ولكن تقليده أخف واستجابته أوجز وتشبيهه أقصر ، أما من حيث المضمون فشأنه شأن

الشاعر القديم الذى سجل فى شعره مظاهر الحياة ولواعج النفس ومتاعب الدهر ، الى جانب التصوير الذاتى للأبعاد الاخلاقية المتعلقة به تعلقا بحتا ، وهى ظاهرة فردية بارزة ، تبعد النمر عن الشعراء الآخرين الذين ذابوا فى قبائلهم ، واندمجوا فيها اندماجا كليا ، ومن هذه الزوايا تتضح أهمية شعره فى تقرير الظواهر الشعرية التى سادت الأدب العربى وأصبحت فى عرف الدارسين حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل والنقاش ، وتمثل المعانى التى تطرق اليها فى حياة حافلة بضروب المعارف ، وقد ألبس هذه المعانى ألفاظا جميلة تتصف بالصراحة ، كما تتسم بالصدق وتتشح بوشاح خلقى رفيع غلبت على شعره .

وان شعره يمثل اتجاها اخلاقيا متميزا قل أن تجد له نظيرا فى الشعر العربى فهو يكره الكذب ويتألم منه وهذا ما حمله على مخاطبة زوجته بعد أن تركته وانصرفت الى منزل بعلها :

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل جزاء مغل بالأمانة كاذب

وهو يدعو الناس الى الكسب والسعى وينهاهم عن القعود والتخاذل ، لأن فى ذلك مدعاة للمذلة واستهانة بالقيم التى يعتز بها المرء الكريم :

خاطر بنفسك كى تصيب كريمة ان الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه تجلة ومهابة والفقر فيه مذلة وقبوح
ان المخاطر مالك أو هالك والجد يجدى مرة فيريح

وهو يعالج المشاكل التى ألمت بالناس ويشير الى القيم الجديدة التى استحدثت فيقول :

أرى الناس قد أحدثوا شيمة وفى كل حادثة يؤتمر
يهينون من حقروا سيبه وان كان فيهم يفى — ويبر

وهو رجل مجرب لا يأمن الأيام لأن المضلل وحده هو الذى يأمن شرها :

فحييت من شحط فخير حديثنا ولا يامن الأيام الا مضلل

أما ايمانه بالقدر والموت فقد صرح به أكثر من مرة :

فان المنية من يخشها فسوف تصادفه — أينما

ويقول فى مقـام آخر : —

واعلم أن ستدركنى المنـايا	فان لا أتبعهـــا — تتبعنى
رأيت المانعين المـال يومـا	مصـيرهم لالقاء — فدفن[١]

وان كثيرا من المعانى الحضارية التى عرفت عند بسكان المدن قد وجدت فى شعره ، وان مشاهدته للرسول الكريم قد تركت فى نفسه أثرا بارزا ، ويبدو أن هذا الاتجاه كان مهيأ عند الشاعر لما لمسناه فى شعره من بعد عن المعانى الجاهلية واصطباغ شـعره بالصبغة التى ينادى بها الاسلام حتى قبل اسـلامه ، فقد ذكر الثعالبى[٢] أن النمر بن تولب وحميد بن ثور والنابغـة الجعدى اجتمعوا فى الجاهلية على معنى قول النبى ﷺ : « كفى بالسلامة داء » فتناهبوه بحسن ألفاظهم وكأنما رموا بقوس واحدة فقال النمر :

يود الفتى طول السـلامة جاهدا	فكيف نرى طول السلامة يفعل

وقال حميد :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة	وحسبك داء أن تصح وتسـلما

وقال الجعدى :

ودعوت ربى بالسـلامة جاهدا	ليصـحنى فاذا السـلامة داء

وفى أبياته التى يلوم فيها العاذل أو العاذلة لأنها تعاتبه على الانفاق وتلومه على العطاء :

أعاذل ان يصبح صداى بقفرة	بعيـدا نآنى صـاحبى وقريبى
ترى أن ما أبقيت لـم أك ربـه	وان الذى امضيت كان نصيبى

نرى فى ذلك شـبها كبيرا بقول الرسـول الكريم ﷺ : ويقول ابن آدم مالى مالى ، وانمـا لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبسـت فأبليت ، أو اعطيت فأمضيت •

ومما يثير الانتباه أيضا فى شـعره كثرة اسـتخدامه للأمثـال ، واستشهاده بحوادث التاريخ لتوضيح الأفكار التى يسعى اليها ، وهى صفة تكشف عن ثقافة الشـاعر واستيعابه للأحوال ومعرفتـه بأمور التاريخ •

(١) انظر شعر هذيل ففيه نماذج كثيرة •
(٢) الثعالبى خاص الخاص / ١٠١ •

منزلته الشـــعرية :

للنمر بن تولب منزلة شعرية كبيرة أهلته أن يكون شاعر الرباب فى الجاهلية (راجـع ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٥٣٣/٤ والبغدادى فى الخزانة ١٥٣/١) وحملت أبا عمرو بن العلاء على تسميته بالكيس لجودة شعره وكثرة أمثاله (أنظر ابن سلام الطبقـات ١٣٤ وابن قتيبة الشعر والشعراء ٢٢٧ وشرح شواهد المغنى للسـيوطى ١٨١) وقد أجمـع المؤرخون على أنه كان شاعرا فصيحا جريئا على المنطق ، وكان كثير البيت السائر والبيت المتمثل به (أبو الفرج الاغانى ١٦٠/١٩) وقد وضعه ابن سلام فى الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية وهم أربعة فقط عمرو بن قميئة ، والنمر بن تولب ، وأوس بن غلفاء وعوف بن عطية وعده أبو زيد القرشى من الطبقة الثانية (أصحاب المجمهرات) .

ان هذه الاشارات النقدية البسيطة التى أوردها القدامى — توضح المنزلة الشعرية التى كان يتمتع بها الشـاعر الى جانب قدرته الفنية الرفيعة المتمثلة فى تجويده فى النظم وحسن تعبيره الذى كان يلائم بين اللفظ والمعنى وفى سلامة التركيب لغويا ونحويا .

وقد حملت هذه الخصائص كثيرا من اللغويين وأصحاب المجاميع والبلدانيين والمفسرين على الاسـتشهاد بشـعره ، لقيمته اللغوية ، والأدبية والجغرافية وقد ساهمت هذه الكتب فى حفظ شعره ولولاها لضاع الكثير مما تبقى لدينا من شعره[1] .

---

(١) ابن سلام فحول الشعراء / ١٣٣ .

ابو زبيــــد الطــائى

هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن ســمنة بن الحــارث بن ربيعــة بن مالك بن هنىء بن عمــرو بن الغوث بن طيىء بن أدد المشهور بأبو زيد الطائى ويتصل نسبه بيعرب ابن قحطان ، وأبو زبيد شاعر مسلم كبير ، وان كانت بعض المصادر القديمة تذهب الى أن أبا زبيد كان نصرانيــا ، وأدرك الاســلام ولم يسلم(١) .

ولكن الذى يقرأ شعر الشاعر ، ويتابع الأغراض التى نظم فيها بعض قصائده يجدها مغايرة لما عرف عن دينه وتبدو له صــورة هذا الشاعر وكأنه من أشد المسلمين اسلاما وأكثرهم دفاعا عنه وعن خلفائه فهو يرثى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه رثاء لم نجد له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين رثوه لصدق عاطفته وتأثره :

على جنابيــه من مظلومة قيم　　تبادرتهــا مســاح بالمناسيف(٢)
لها صواهل فى صم السلام كما　　صاح القسيات فى أيدى الصياريف(٣)
كأنهن بأيدى القــوم فى كبد　　طير تكشف عن جون مزاحيف(٤)

وأبو زبيد يرثى الامام عليا رضى الله عنه رثاء لم نجد له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين رثوه لصدق عاطفته وتأثره لمصرعه وتقرأ فيها هول الفاجعة التى أصابت المسلمين :

ان الكــرام على ما كان من خلق　　رهط امرىء خاره(٥) للدين مختار

---

(١) الشعر والشعراء ١/٢٢٠ والأغانى ١١/٢٣ وتاريخ ابن عساكر ٤/١٠٩ والارشاد لياقوت ٤/١٠٧ .

(٢) جنابيه : جانبيه ، مظلومة : ارض حفرت ولم تحفر قبل ، قيم : جمع قامة من التراب ، والمسحاه : ما سمى به كالمجرفة ، الا انهــا من حديد والجمع المساحى .

(٣) الصواهل : جمع الصاهلة مصدر على فاعله بمعنى الصهيل وهو الصوت أى للمساحى اصوات اذا وقعت فى الحجارة وهى السلام بكسر السين كاصوات الدراهم الزائفة .

(٤) فى كبد : فى شدة الابــل المزاحيف : المعيية وانما جعلها جونا لانهم حفروا له الحرة ، فاشبه الحرة بابل سود بشبه اختلاف المساحى فوق رءوس الحفارين باجنحة الطير .

(٥) خاره : اختاره .

طب بصير بأضــغان الرجال ولم ... يعــدل بحبر رسول الله أحبار[١]

وقطرة قطــرت اذ حان موعدها ... وكل شيء له وقت ومقـــــدار

حتى تنصلها فى مســـجد طهر ... على امام هدى ان معشر جاروا[٢]

حمت ليدخل جنــات أبو حســن ... وأوجبت بعده للقــاتل النــار[٣]

وكل الدلالات الواضحة تؤيد انه لم يكن مســلما فحسب بل كان من أشد المسلمين اسلاما ، لاستعماله الالفاظ والمصطلحات الاسلامية فى شعره وذوده عن الاسلام والمسلمين فضلا عن أنه كان قد أوصى بأن يدفن الى جوار الوليد بن عقبة ، ونحن نعلم أن مقابر المسلمين لا يدفن فيها الا المسلمون بالاضافة الى قتاله الى جانب المسلمين يوم الجسر حمية للمسلمين وهذا ما حمل الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنـــه) على أن يستعمله على صدقات قومه وان يقربه ، ولا ننسى ان سيدنا عثمان بن عفان كان يقربه من مجلسه وينزله منزلا كريما وانه صاحب الوليد بن عقبة مصاحبة طويلة[٤] .

وتعد أشارة الطبرى التى أغفلها المؤرخون الذين كتبوا عنـــه بعد الطبرى من أوضح الدلالات على اسلامه ، فهو يذكر أن أبا زبيد كان فى الجاهلية والاسلام فى بنى تغلب حتى أسلم ثم يقول وكان أبو زبيد يأتى الوليد بالجزيرة والمدينة فلم يزل الوليد به حتى أســـلم فى آخر امارة الوليد وحسن اســـلامه ويؤيد ابن الأثير هذه الرواية فيقـــول : وكان أبو زبيد الشاعر فى الجاهلية والاسلام فى بنى تغلب وكان أخواله ظلموه دينا — فأخذ الوليد حقه اذ كان عامـــلا عليهم ، فشكر أبو زبيد ذلك له ، وانقطع اليه ، وغشيه بالمدينة والكوفة ، وكان نصرانيا فأســـلم

---

(١) بصير بأضغان الرجال : خبير بأسرارها ، والخبير : العالم .

(٢) تنصلها : يريد استخراجها : حمت : قدرت ويروى ان عليـــا رضى الله عنه مر بيهودى يسأل مسلما فقال له على : اسألنى ودع الرجل ، فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر : أى عالم قال على ان تسأل عالما أحرى لك اهـ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرســـل والملوك ٢٨٤٣/٥ وانظر شـــعراء اسلاميون ٥٦٨ .

(٤) الكامل لابن الأثير ٤٣/٣ .

عند الوليد وحسن إسلامه[1] وليس فى شعره ما يؤيد نصرانيته كما هو الحال عند الشعراء الذين عرفوا بنصرانيتهم •

أغراض شعره :

اذا قرأنا شعر أبى زبيد شاهدناه يتناول أغراضا مختلفة فى شعره فلقد قال الشعر مادحا وأبو زبيد اذا مدح فانه لا يمدح ليكتسب مالا أو عقارا ، أو ليبــلغ منزلة كبيرة فى قلب الممدوح وانما يمدح ليؤدى حقا وواجبا ، أ وليثنى على صفة انسانية أثرت فيه وأثارت شاعريته ، فهو يرثى الخليفة عثمان بن عفان مادحا خصاله ويرثى الخليفة الراشد على بن أبى طالب كرم الله وجهه،لأنهما قتلا قتلة لا تليق بمقامهما ، قتلا والدولة الاسلامية بأمس الحاجة الى رجال مخلصين للدعوة ، حريصين على الاسلام ، محافظين على اصالة الدعوة الاســلامية التى جاء بها الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم وهو يرثى ابن أخته اللجلاج ، ويرثى صاحبا علم بموته ويرثى عبيد الله بن عمرو الخطاب يرثى هؤلاء جميعا فيركز على الصفات الانسانية الفاضلة فيهم منهم،ويذكر صفات النبل والمروءة والحمية ونصر المظلوم والأخذ بيد الضعيف كل هذا فى أسلوب يأخذ بالألباب ويستولى على الأفئدة • كما اشــــتهر أبو زبيد بفن الوصف يغرب فيه ويبدع وأجل ما قاله فى وصف الأسد ، وكان مغرى بهذا الوصف بعبارات مهولة ، ترعب السامع ، وتدخل الرعب والهلع فى نفسه ، حتى كأنه يشاهد الأسد فى تصوره وهذا ما حمل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه الى أن يلتفت اليه فى مجلســه ، ويطلب منه أن يسمعه بعض قوله لأنه يجيد وصــفه[1] وعندما ينهى وصفه يقول له : اسكت قطع الله لسانك ، فقد رعبت قلوب المسلمين ، وقد بلغ فى وصفه حدا جعل قومه يلومونه على كثرة هذا الوصف وقالوا قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له ، قال :

لو رأيتم منه ما رأيت أو لقيتم منه ما لقى أكــدر لما لمتمونى ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه حتى مــات •

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٥٠٥ .

وتعد صــور الأســد عند أبى زبيــد من الصــور الأولى التى وصف بها وصفا يدل على رؤية حقيقية ، وان كان عروة بن الورد قد تعرض له بالوصف الدقيق المفصــل الذى لا يتهيأ الا لمن اتصــل به اتصالا قريبا ففى شعره يصفه بأنه عريض الصــــدر ، رابض فوق أجمه ، يتساقط قصبها فوق ظهره ، أما زئيره فيشــبه صوت الرعد ، الا أن أبا زبيد وصف اعضاءه ودقق فى اجزائه وقارن بينها وبين الصور المادية التى كانت تحيط به فاتخذ منها أوجه شبه وضح فيها الصــور وجسد الابعاد ، ولون الزوايا ومن هنا كان من أوصــف الشــعراء للأسد ، لأنه رآه عن قرب ، وتأمل حركاته وأدرك ما يصيبه وهو يهم بالهجوم ، ويترصد الفريسة وأحس بزمجرته المرعبة ، وبراثنه الخشنة الغليظة ، ومخالبه المعقوفة الرأس ، وهذا ما جعل وصــفه أدق حتى عد من أوائل الشعراء الذين عنوا بوصف الأسد ، وخصصوا جزءا كبيرا من أوصافهم له .

يقول فى ذلك :

ومن فلائل هام القوم محتلقــا   بمستحى من أمين الجلد اتعابا[١]

ومن سرابيــــل أهبـــاب مضرجة   بصائك من دم الاجواف قدرابا[٢]

كأن أثــواب نقــــاد قدرن له   يعلو بخملتها كهبــــاء هدابا[٣]

كأنمــــا كان تأبيهــــا ليأتيهم   فى كل أبعـــــاده يدنو تقرابا[٤]

---

(١) الفلائل : واحدتها قليلة ، وهى الخصلة من الشعر ، بمستحى : اى بمقشور من الجلد تقشر باتعاب وهو مفتعل من سحوت القرطاس اى قشرته .

(٢) أهباب : لخــــلاق من الثيــــاب ، الصــــائك الذى له ريح ، راب اى غلظ كما يروب اللبن .

(٣) النقاد : صــاحب النقد وهى الغنم الصغار قدرن طبعن عليــه وجعلن على قدر جسمه شبه جلد الأسد وشــعره المتدلى بالقطيفــة التى على الراعى ، الكهباء : — التى تضرب الى الغبرة .

(٤) التأبيه : الدعاء يقول كان زجرهم اياه .
انما كان ليأتيهم يصفه حين زجره القوم .

وثار اعصار هيجا بينهم وجلوا ... يضيء محرامهم جمرا وأخطابا[1]

وما مغب بثنى الحنو مجتعل ... فى الغيل فى ناعم البردى محرابا[2]

مقابل الخطو فى أرساغه فدع ... ضبارم ليس فى الظلماء هيابا[3]

يفوت فيها لحام القوم شيعثه ... وردين قد آزرا حصاء مسغابا[4]

ميزات شعره :

ولقد تميز أبد زبيد عن الشعراء الآخرين بمباشرته الموضوع الذى يريد معالجته من أول بيت فى القصيدة وهو لا يعمد الى خلق الجو الشعرى المناسب ، ولم يخلق الجسر الذى ينتقل بواسطته الى الهدف الذى حمله على نظم القصيدة ، ففى قصيدته التى قالها بسبب المكاء يقول فى مطلعها :

خبرتنا الركبان أن قد فخرتم ... وفرحتم بضربه المكاء

وفى قصيدته التى قالها فى غلامه : —

هل كنت فى منظر ومستمع ... عن نصر بهراء غير ذى فرس

وفى مرثيته التى رثى فيها اللجلاح

ان طول الحياة غير سعود ... وضلال تأميل نيل الخلود

علل المرء بالرجاء ويضحى ... غرضا للمنون نصب العود[5]

كل يوم ترميه منها برشق ... فمصيف أوصاف غير بعيد[6]

من حميم ينسى الحياء جليد القو ... م حتى يصير كالمبلود

---

(١) هذا مثل ، يريد بالجمر نار الحرب بينهم والمحراث ما حرك به النار اى سلاحهم يستثير نار الحرب .

(٢) جعل الشيء واجتعله كلاهما : وصنه المحراب : جعل المحراب كالمجلس .

(٣) الفدع : عوج وميل فى المفاصل كلها خلقة أو داء ، الضبارم والضبارمة : الأسد الوثيق الجرىء على الأعداء .

(٤) الحصاء : السنة المجدبة وقيل الحصص ان يتكسر الشعر ويقصر فقال لحيه حصاء ورجل أحصى ، لحم القوم يلحمهم : أطعمهم اللحم ولحام جمع لحم — اهـ .

انظر شعراء اسلاميون ٥٧٢ — ٥٧٣ .

(٥) اى منصوبا مثل الهدف .

(٦) الرشق : الوجه من الرمى اذا رموا بأجمعهم وجها بجميع سهامهم فى جهة واحدة — يقال قد صاف السهم يصيف وصاف — بصيف اذا عدل عن الهدف .

أما المعانى التى يختارها ، والألفاظ التى يستعملها فهى متأثرة الى حد بعيد بالألفاظ الاسلامية التى كان يتداولها الشعراء المسلمون فى تلك الفترة فهو يذكر التقى ، وحـق الوفاء ، ودفع الأسى بحسـن العزاء ، ونيل الخلود والاعتماد على الله فى الرزق والايمان بالقضاء والقدر وان الأشياء لها أوقات ومقادير — وذكر الجنـة والنار ، وغير ذلك من الألفاظ المتناثرة فى شعره الى جانب قدرته فى اختيار الألفاظ الخالية من تنـافر الحـروف ، والبعيدة عن الغرابة ، ولابد أن تكون للبيئة التى نشأ فيها والأماكن المتحضرة التى زارها أثر واضح فى هذا الاتجـاه الذى لم يسلكه الا الشـعراء الذين عاشوا فى جـو متحضر وابتعدوا عن البيئة الصحراوية التى كانت تفرض على شعرائها ألفاظا معينة ومعانى محدودة ، وصورا شعرية معروفة لتصبح عندهم مقبولة مستساغة أما الأوزان الشعرية التى غلبت على شعره فهى تدل على أنه قد تأثر بمدرسـة شـعرية بالغة التطـور ومتميزة عن غيرها بتنوع الأوزان والتعابير — ويتجلى هذا التطور فى فزوعه الى استعمال بحر الخفيف الذى نظم به ثلث شعره ، ولم يستعمل هذا البحر عند سائر الشعراء الا على نحو عارض[1] •

ويجنح أبو زبيد فى وسـائله التعبيرية فى بعض الأحيـان الى الاكثار من المبالغة فى استخدام التشبيهات والاستعارات والكنايات الى جانب استخدامه بعض المحسـنات البديعية ، والخيال يشـمل جانبا مهما من جوانب شعره وخاصة الوصفى •

وهو يستعير اللثم لكف الدهر :

كل عام يلثمن قوما بكف الدهر   حمقـا وأخـذ حى حـريد[2]

كما يستعير حبل العادية الممدود لسير الليل والاستقامة فيه كقوله :

---

(١) راجع دراسات فى الأدب العربى لعز بناوم ٢٦٦ •

(٢) حى حريد : منفرد معتزل عن جماعة القبيلة •

ناط أمر الضـــعاف واجتعـــل   الليل كحبـــل العادية الممدود[1]

ويكنى عن الكريم بمطير اليدين •

ويشبه شعر الأسد الذى يعلو كاهله بالثياب الممزقة كما يشبه ما تغضن من جلد الأسد فوق حلقه ولهاه بمغار الرمل المتناثر الواسع وأنياب الأسد الحداد اذا قلص أشداقه بالحناجر :

يقول فى الأسد :

له زبر كاللبـــد طـــارت رعابلا   وكتفان كالشرخين عبـــل مضبر

كأن غضـــونا من لهاه وحلقـــه   مغـــار هيـــام عدملى منهور

يعرد منه ذو الحفاظ مدججـــا   ويحبق منه الأحمـــرى المدور

رحيب مشق الشدق أغضف ضيغم   له لحظـــات مشرفات ومحجر

والمحسنات اللفظية شائعة فى شعره ، فهو يطابق فى بيت واحد بين الهيفاء والعجـــزاء والمقبلة والمدبرة فى قصيدته الغزليـــة الرائعـــة التى أجاد وصـــف المرأة فيها ، فهى ترنو بعين غزال وأنها مجدولة ليست مترهلة أو سمينة أو مسترخيـــة اللحـــم مع برد فى الأســـنان وعذوبة فى الريق وأنها نعمت البطانة فى اليوم البارد المطير :

نعمت بطـــانة يوم الدجن تجعلها   دون الثيـــاب وقد سريت اثوابا

قراب حضنك لا بكر ولا نصـــف   توليك كشحا لطيفا ليس محشابا

هيفاء مقبـــلة عجـــزاء مدبرة   مياســـة جدلت شنباء أنيـــابا

ترنو بعينى غزال تحت ســـدرته   أحسن يوما من المشقاة هـــلابا

بجيد ريم كريم زانه نســـق   يكاد يلهبـــه الياقوت الهـــابا

أما منزلته الشعرية فتتمثل فى زيارته للملوك وتقربهم له واعجاب الخلفاء بجودة أوصافه الشعرية وقد ألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الشعراء الاسلاميين وهم العجير الســـلولى ، وعبد الله بن همام السلولى ، وابن لقيط الأسدى •

وفـــاته :

ولما صار الوليد بن عقبة الى الرقة ، واعتزل عليا ومعاوية سار

---

(١) اجتعل : صنع وجعل ، والعادية البئر القديمة أى جعل يسير الليل كله مستقيما كاستقامة حبل البئر الى الماء •

أبو زبيد اليه ، فكان ينادمه وبينما هو يشرب رفع رأسه الى السماء ونظر ثم رمى الكأس عن يده وقال :

اذا جعل المرء الذى كان حازما يحل به حل الحوار ويحمل
فليس له فى العيش خير يريده وتكفينه ميتا أعف وأجمل
أتانى رسول الموت يا مرحبا به ويا حبذا من مرسل حين يرسل

ثم مات فجأة وجاء أصحابه فوجدوه ميتا . وهذا يعنى انه كان حيا خلال سنوات (٣٧ — ٤٠) .

مالك بن الريب ٦٠ هـ ٦٨٠ م

هو مالك بن الريب بن المازنى التميمى[١] .

شاعر من الظرفاء الأدباء الفتاك الشجعان اشتهر فى أوائل العصر الأموى ورويت عنه أخبار فى أنه قطع الطريق مدة ، ورآه سعيد بن عثمان بن عفان ، وهو بالبادية فى طريقه بين المدينة والبصرة فأنبه سعيد على ما يقال عنه من العيث وقطع الطريق واستصلحه واصطحبه معه الى خراسان ، فشهد فتح سمرقند وتنسك وأقام بعد عزل سعيد ، فمرض فى مرو وأحس بالموت فقال قصيدته اليائية المشهورة قال أبو على القالى ، كان من أجمل العرب جمالا وأبينهم بيانا وهو شاعر لم يغن الحمائم فى الروض الأغن ، ولم يهم مع السواقى فى الوادى الضائع ، ولم يدلج مع النجم فى الأسحار الندية بعطر الفجر ، ولم يتبع الشمس فى العشايا السكرى بخمر الغروب ، ولم يرقب طيف الحبيب فى الليالى التى تكتم أسرار الهوى .

ولئن سابقت شاعرية الشعراء الزمان فسبقت الشباب ، وظهرت بوادرها فى مدارج الصبا ، وملاعب الفتوة ، فان هذا الشاعر لم تنبثق شاعريته الا على سرير الموت ، وشفا الردى ، على عتبة الدنيا خارجا منها ، وعتبة الآخرة داخلا اليها ، فى الساعة التى يعيا فيها الشاعر ، ويؤمن فيها الكافر ، ويضعف فيها القوى ، ويفتقر فيها الغنى ، ولم تنبثق الا بقصيدة واحدة ، ولكنها كانت نفحة من عالم الخلود فخلد بها .

قصيدة وهبها للموت اذ تغنى له فيها ، فوهب له الموت بها الحياة .

لم يتفلسف تفلسف المعرى ، ولا تجبر تجبر المتنبى ، ولا أغرب اغراب الدريدى ولكنه جاء بأقرب الافكار فى أسهل الالفاظ — فجاءت من هذه السهولة عظمة القصيدة ، والفنون كلها تموت ان اكرهتها على الحياة فى جو التكلف ، التكلف فى التفكير أو التعبير ، ان الفنون لا تحيا الا فى الانطلاق والحرية — وكل الفنون . الكتابة والشعر والتصوير

---

(١) الأعلام ج ٦ ص ١٣٤ طبعة ثالثة .

والموسـيقى حتى الالقاء يحتاج الى ذلك وهذا ما عاش فيه الفارس الشـاعر شـاعر لم يعش شـاعرا ، ولكنـه مات شـاعرا ، عاش عمره كله يغنى بسنانه للحرب ، لا يغنى بلسانه للحب ، ولا يعمل لوصال الأحبة وسلب القلوب ، ولكن يعمل لقطع الطرق ، وسلب القوافل ، كان لصا من أشهر لصوص العصر ، ثم تاب ومشى الى الجهاد فى جيش ابن عفـان حتى أدركته الوفاة وهو على أبواب خراسـان ، فى بـلاد لا يعرفها ولا تعرفه ويتذكر وهو بها • بلده وأرضه ويدرك قيمة تلك النعم الجسام ، ولا يدرك المرء قيمة النعم الا بعد زوالها ، وتثور فى نفسه الأمانى ، فلا يتمنى الا أن يبيت ليلة أخرى بجنب الغضى ، وأن يسوق كرة أخرى ابله الى المرعى ، ويذكر كيف كان يزدرى هذه النعمة التى يراها الآن عظمة ، ويتمنى (وليس ينفع التمنى) لو أنه لم يسر من تلك الديار ، أو لو أنه طال الطريق حتى يستمع بها ، يقول هذا بألفاظه ورنته الباكية ، وقافيته الحزينة التى تذكرنا بقصيدة أخـرى من وزنها ورويها لشاعر يمانى غريب هو عبد يغوث :

الا ليت شـعرى هل أبيتن ليلة
بجنب الغضى أزجى القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضـه
وليت الغضى ماشى الركاب ليـاليا
لقد كان فى أهـل الغضى لو دنا الغضى
مـزار ولكن الغضى ليس دانيـا

ويلوم نفسه ، ويعجب منها كيف سوغت له أن يقبل بهذا النفى راضيا مختارا ، ويعجب من أبويه كيف لم ينهياه وما الذى جاء به الى باب خراسان وقد كان نائيا عنه :

ألم ترنى بعت الضـلالة بالهـدى
وأصـبحت فى جيش ابن عفان غازيا

---

(١) الغضى نبت من نبت البادية ، شـديد اخضراره ، حامية ناره .
(٢) أسوق سوقا رفيقا والقلاص : الابل ، والنواجى : السريعة .

فلله دری کیف أتــرك طائعـــا
بنی بأعـــلی الرقمتین ومالیـــا
ودر الظبـــاء السانحات عشیة
یخبرن أنی هـــالك من ورائیـــا
ودر کبـــیری اللذین کلاهمـــا
علی شـــفیق ناصـــح لو نهانیـــا

وکیف یفتش عمن یبکی علیـه فـلا یجد أحـدا ، لا یجد من یبکیه الا سیفه وفرسه ، ولیس ینفع المیت أن یذکره ذاکر الا ذاکرا بدعاء أو صـدقه ، ولا یضره أن ینسـاه الناس ، وما حفـلات التـأبین للمیت ولکن للأحیاء یصـعدون علی قبر المیت لیقولوا للناس انظـروا الینا ، واسمعوا بیاننا وصفقوا لنا ، ولقد صدق من قال اذ قال : « کلنا یبکی فی المآتم وکل یبکی علی میته ، لیس ینفعـه بکاء ولا نواح ولکنهـا غریزة التمسك بالحیاة والاستکثار منها :

تذکرت من یبکی عـلی فلم أجـد
سوی السیف والرمح الردینی[1] باکیا
وأشـقر خنذید یجـر عنـانه
الی الماء لم یترك له الدهر سـاقیا

وما أروع هذه الصورة وأجملها . هذا الحصان یتلفت یمنة ویسرة ویدور وینعطف یفتش عن صاحبه فلا یلقاه فینسی الطعام والشراب حتی یبرح به العطش ، ولا یجد من یسـقیه ، فیجر عنانه الی الماء ، ولو أن مصورا صور معنی هذا البیت لکان لوحة من لوحات العبقریة ، وها کم هذه اللوحة التی بلغت من الروعة أبعد الغایات والتی تذیب القلوب فتسیلها دموعا یقول :

ولما تراءت عنـد مـرو منیتی — وحل بها جسـمی وحانت وفاتیا
أقول لأصـحابی ارفعونی فاننی — یقر لعینی أن سـهیل — بدالیا
فیاصاحبی رحلی دنا الموت فانزلا — برابیة انی — مقیم — لیالیـا
أقیما علی الیوم أو بعض لیـلة — ولا تعجلان قد تبین — ما بیـا

(١) منسوب الی ردینة وهی امراة کانت تثقف الرماح ای تقومها .

وقوما اذا ما استل روحى وهيئا   لى السدر والأكفان ثم أبكيا ليا
خذانى فجرانى ببردى اليكما   فقد كنتقبل اليوم صعبا — قياديا

ويعلم أنه لن يجد من يقوم على قبره ، ويشيد بذكره فيرثى نفسه ويكشف عن فعاله بمقاله :

وقد كنت عطافا اذا الخيل أدبرت   سريعا الى الداعى اذا ما دعانيا
وقد كنت محموداً لدى الزاد والقرى
وعنى شتم ابن العم والجار وانيا
وقد كنت صبارا على القرن فى الوغى
ثقيلا على الأعداء عضبا لسانيا

ويعود الى اتمام هذه اللوحة الرائعة ، فيتصور مسير أصحابه وبقاءه فى هذه الفلاة :

غداة غد يا لهف نفسى على غد
اذا أدلجوا عنى وخلفت ثاويا
وأصبح ما لى من طريف وتالد
لغيرى وكان المال بالأمس ماليا

ثم يسأل رفيقيه حاجة له هى آخر حاجاته من دنياه ، أن يحملوا نعيه الى بئر الشبيك حيث أزدحم بنات الحى ، يملأن الجرار ويستقين ، فيصرخ ، فيدعن ما هن فيه ، ويتلفتن اليه وتسمع زوجته ، فيلقى اليها بوصاته ، وما وصاته الا أن تقف على القبور علها تذكرها بقبره الضائع حيث لازائر ولا ذاكر :

وقوما على بئر الشبيك فاسمعا
بها الوحش والبيض الحسان الروائيا
بأنكما خلفتمانى بقفرة
تهيل على الريح فيها السوافيا
ولا تنسيا عهدى خليلى اننى
تقطع أوصالى — وتبلى عظاميا
فلن يعدم الوالون بيتا يجننى
ولن يعدم الميراث منى المواليا

ويا ليت شـــعرى هل تغـــيرت الرحى
رحى المثل[1] أو أضحت بفلج كما هيا

اذا مت فاعتادى القبـــور فســلمى
على الريم[2] اسقيت الغمام الغواديا

ويعود الى حاضره ويتفكر فى نفســه ، ويرجع الى ذكر بلده وأهله فيقول فى آخر قصيدته :

أقلب طــرفى فوق رحــلى فلا أرى
به من عيون المؤنســـات مراعيـــا

وبالرمل منانسوة لو شـــهدننى
بكـــين وفــــدين الطبيب المداويا

فمنهن أمى وأبنئـــاها وخــالتى
وباكية أخـــرى تهيج البواكيـــا[3]

وما كان عهد الرمـــل منى وأهــــله
ذميما ، ولا بالرمل ودعت قاليـــا

لقد مات مع مالك فى تلك السفرة آلاف وآلاف ولا يزال الناس قبله وبعده يموتون فينســاهم الناس وينســاهم أهلوهم ورفاقهم وهذا الشاعر جعلنا نذكره ونبكيه بعد ألف وأربعمائة أو يزيد ، وهذه هى عظمة الشعر ، وهذا هو خلود الشاعر وصدق الشاعر اذ يقول :

من يقل مات شـــاعر ضـــل ســـعيا
الفنـــا لا يكـــون للشـــــعراء

---

(١) رحى المثل الخ : مواضع فى ديار قدمه .
(٢) الريم : القبر .
(٣) المراد بها زوجته على عادة العرب فى كنايتهم بالازواج .

قطرى بن الفجاءة[1]

هو أبو نعامة قطرى بن الفجاءة ، واسمه جعونة ابن مازن بن يزيد بن زياد بن خنثر بن كابيه بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم بن مرة المازنى الخزرجى • خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولى العـراق نيـابة عن أخيـه عبد الله بن الزبـير فى سـنة ست وستين للهجرة ، فبقى قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى يسـير اليه جيشـا بعد جيش وهو يستظهر عليهم •

وحكى عنه أنه خرج فى بعض حروبه وهو على فرس أعجف وبيده عمود خشب ، فدعا الى المبارزة ، فبرز اليه رجل ، فحسر له قطرى عن وجهه ، فلما رآه الرجـل ولى عنه ، فقـال له قطرى : الى اين فقال : لا يستحى الانسان أن يفر منك •

وكان رجلا شجاعا مقداما كثير الحروب والوقائع قوى النفس ، لا يهاب الموت ولا غرو فى ذلك ولا عجب فقد ورث القيادة عن قومه بنى تميم فهم محاربون من الطـراز الأول فى الجاهلية والاسـلام وكان لبيئتهم التى عاشوا فيها ، وللأرض التى سكنوها ، وتنقلوا فيما حولها أثر فى كثرة حروبهم اذ كانت أرضهم فى كثير من الأحيان معبرا للعير المتجهة الى اليمن أو الآتية منها الى هجر والبحرين ثم الى العراق فى الشمال ، وطبيعى أن تنشأ حروب يكون من أسبابها احتكاكهم بالمسافرين فى أرضهم واحتكاك المسافرين بهم ، وتشاحنهم معهم[2] •

ولقد كان بنو تميم أيضـا فى الاسـلام رجال حرب ويكفى أن نستدل على ذلك بأن كثيرا من فرسـان قطـر كانوا من بنى تميم ، والتاريخ ملىء بالمواقف والمشاهد التى يصنعها أبطال بنى تميم ، اذا فبيئة قطرى وقبيلته وتاريخها فى الجاهلية والاسلام احاطته بكل مظاهر

---

(١) وسبب تسمية ابيه الفجـاءة ان اباه كان باليمن فقـدم على اهله فجاءة فسمى به وبقى عليه انظر وفيات الأعيان جـ ٤ ٩٣ — ٩٤ دار الثقافة — بيروت •

(٢) راجع كتاب ايام العرب فى الجاهلية .

البطولة ، وامدته بكثير من الفكر الحربى ، وأودعت فى نفسه كثيرا من الفروسية والنبل •

فقد كان قطرى قائدا بجسمه ، فقد أوتى صورة فى ملامحه وهيبته ترعب وتخيف ، ولقد كان يهاجم أعداءه أحيانا وهو ملثم ليفاجئهم برؤيته وهيبته حين يقتربون منه ولا ننسى قول أحد أعدائه :

« ان الانسان لا يستحى أن يفر من مثلك »[١] •

هو اذا قائد مكتمل اللياقة البدنية ، وليس هناك شىء يدل على اكتمال هذه اللياقة أكثر من أن يعثر جواده فيسقط فيتهدى الى السفح ثم يظل بكل جسمه المتين القوى لا يؤثر فيه ذلك التساقط وانما يؤثر فيه عطشه وحاجته الى قليل من الماء •

ان المعارك التى خاضها أبو نعامة ، تدلنا على قائد بعيد النظر سليم الخطة يطمئن جنوده اليه ، ويثقون فى النصر ما كانوا معه • وهو فى هجومه ، فارس نبيل لا يبارز أحدا الا اذا كان له ند يقول هو عن نفسه :

ألا أيها الباغى البراز تقربن — أساقك بالموت الذعاف المقشبا

فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة — على شاربيه فاسقنى منه واشربا

فشاعرنا قطرى لا يبارز الا كفئا ، ولا ينازل الا ندا ، انه يريد أن يضرب القوى حتى يفزع الذين هم دونه من حوله ، فيسهل عليه تحقيق النصر فى سرعة ، ودون كثير من التضحيات يروى ابن قتيبة أن رجلا من العرب قال :

« انهزمنا من قطرى وأصحابه ، فأدركنى رجل على فرس فسمعت حسا منكرا خلفى فالتفت فاذا انا بقطرى فيئست من الحياة فلما عرفنى قال : « أشدد عنانها ، وأوجع خاصرتها قطع الله يديك قال ففعلت فنجوت منه »[١] •

لقد عرفه قطرى ورآه صيدا هزيلا ، فراح فى شىء من العطف ينصحه ويرشده ، ولقد كان من الممكن أن يرجع عنه ، ولكنه يريد أن

---

(١) انظر الكامل للمبرد جـ ٣ ص ٢٢٠ والبداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٠ •
(٢) ديوان الأخبار جـ ٣ ص ١١٣ •

يشعره بأنه قد نجا بمهارته هو ، وذلك هو خلق المحارب النبيل تغمره السعادة حين يرى خصمه قد أفاد منه • ويعد قطرى قائدا من الطراز الأول ، عرف المسالك والدروب والوهاد والنجاد والجبال والأنهار وهذه المعرفة الجيدة لأرض فارس واصبهان وكرمان وما حولها قد ساعدته على سرعة الحركة وعلى الانسحاب المفاجىء أحيانا أو الهجرم المفاجىء أحيـــانا أخرى •

ولو قـــدر له أن يحـــارب بجماعة لها نظـــام مستتب لتحقق له ما يريد ، ولكنه كان يحارب بجماعة لم يستقر نظامها ، ولم تأخذ شكل الدولة ولم تكن لجماعتهم عاصمة معينة منها يوجهون واليها يلجئون على حين كانت خصومهم أصحاب نظام مســتقر وعاصـــمة بعيدة عن ميدان القتـــال ، يوجه الخليفة منها أوامره ورســـائله الى عمـــاله فى الأقـــاليم ويعمل ويتصرف وهو هادىء مطمئن وذلك من أهـــم أسباب نجاح خصوم قطرى فى تحقيق النصر عليه •

ولو قدر لأبى نعامة أن يستولى تماما على فارس ، وأن يقيم فيها نظاما مستقرا لتغير وجه التاريخ ولانتصر على بنى أمية[1] •

شـــعره :

كما قدمنا فان قطريا شاعر فارس ملم بقواعد الفروسية يقول التبريزى عنه « فارس مذكور وشاعر اسلامى مجيد ، ســلموا عليه بالخلافة ثلاثعشرة سنة وكانت له امرأة تسمىأم حكيم وكانت من أشجع الناس وأحسنهم بدينهم تمسكا ، وكان قطرى يحبها حبا شديدا وله فيها شعر حسن •

وشعر قطرى قليل ، وهو وفى قلته لا يتفق وكثرة الأحداث التى عاشها وعاناها ، والمروى منه كله يدور فى الدعوة الى القتال والحماسة ، ومن البدهى ألا نجد له شعرا فى المدح ولا فى الهجاء ، وذلك لأن منزلته كخليفة للخوارج وقائد لهم لا تسمح بأن يقول شعرا فى المدح ولا فى

(١) قطـــرى بن الفجـــاة ابراهيم عبد المطلب يونس المؤســـســـة الافروعربية القاهرة .

الهجاء ، هذا الى عقيدته التى تبرأ من الكذب ، والمدح أو الهجاء قد يشوبها كثير من الكذب رغبة فى ارضاء الممدوح ، وشهوة فى اغاظة المهجو ولكن لا يبعد ان يكون من شعره الذى لم يصل الينا شعر فى وصف الطبيعة وفى تصوير ما حوله من أنهار وجبال خاصة وانه كان يرتحل من مكان الى آخر ويمر بتلك المناظر كما لا يبعد أن يكون من شعره ما يصور طموحه وآماله بل ربما كان منه ما يتحدث عن الحب فى اجلال وتقديس .

وأول ما يطالعنا من شعره قصيدته التى قالها فى معركة دولاب ، وهذه القصيدة قد حار النقاد فى نسبتها الى صاحبها وغالب الظن أنها له أعتمادا على ما قاله المبرد فى الكامل وأبو الفرج فى الأغانى[1]

يقول قطرى :

لعمرك انى فى الحياة لزاهد ... وفى العيش ما لم ألق أم حكيم

من الخفرات[2] البيض لم ير مثلها ... شفاء لذى بث[3] ولا لسقيم

لعمرك انى يوم ألطم وجهها ... على نائبات الدهر جد لئيم

ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى فى الحرب غير ذميم

غداة طفت غلماء[4] بكر بن وائل ... وعجنا[5] صدور الخيل نحو تميم

وكان لعبد القيس أول حدها ... وأحلافها من يحصب وسليم

وظلت شيوخ الأزد فى حومه الوغى ... تعوم وظلنا فى الجلاد نعوم[6]

فلم أر يوما كان أكثر مقعصا[7] ... يمج دما من فائظ[8] وكليم

وضاربة خدا كريما على فتى ... أغر نجيب الأمهات كريم

أصيب بدلاوب ولم تك موطنا ... له أرض دلاوب ودير حميم[9]

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا ... تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الاله نفوسهم ... بجنات عدن عنده ونعيم

---

(١) الكامل جـ ٣ ص ١١٧ الأغانى جـ ٦ ص ١٥١ .

(٢) ذات خفر : اى ذات حياء .

(٣) بث : حزن .

(٤) اصلها على الماء .

(٥) عجنا : أملنا .

(٦) نعوم : فيه اقواء وهو عيب فى القافية .

(٧) مقعصا : الميت فى مكانه .

(٨) الفائظ : القتيل .

(٩) اسم مكان .

والقصيدة يعلن فيها علاقته بأم حكيم وحبه لها وتعلقه بحبالها ، فهي شغله الشاغل ، وأمله الباقي في الحياة ، ولولاها لزهد في العيش وسئم البقاء ، ويتفنن قطري في وصف محبوبته فهي ذات حياء وخفر ، كريمة الأصل ، حسنة الوجه ، لا يستطيع أن يرى لها مثيلا في اسعاد المحزون ، وشفاء المريض ، وهي لكرم محتدها تصان ولاتهان ومهما يكن من نائبات الدهر ، فلا يصح أن تصاب في شيء والا كان ذلك خسة ولؤما .

ثم تحدث عن شدة القتال وروعة النصر فأم حكيم لو شهدت قطريا وهو يحارب يوم دولاب لرأت محاربا عظيما سديد الرأى عظيم الطعن لقد كانت المعركة قوية ، وكانت ضحايا الاعداء كثيرة فهؤلاء بنو بكر وقد طفت جثثهم على الماء وهؤلاء بنو تميم قد كر عليهم الخوارج فحطموا قوتهم وفرقوا جمعهم ، وأما عبد القيس فكان لها أشد ضرب وأعنفه ، وكذلك أصاب أحلافها ما أصابها ، ولم تنج الأزد من شدة القتال فقد كانوا في حومته ، وكأنهم غرقى على حين ، ومما جعلهم يقبلون على الموت ويستعذبونه حتى أن بعضهم كان حين يحس وقع السيف أو طعن الرمح يتلو قوله تعالى : « وعجلت اليك رب لترضى » والقصيدة تصور جانبا من صفات قطرى فهو رجل يحب في جلال وعظمة ، وهو فارس نبيل ، يحترم المرأة ويحرص على معاملتها معاملة كريمة ، وهو فخور بالنصر ، شامت بهذه القبائل التى تحالفت على حرب الخوارج ، فكان جزاؤها هزيمة منكرة في يوم لم ير مثله في كثرة القتلى والجرحى ، وهو حزين على من مات من الخوارج واثق بأن الجنة لهم .

والقصيدة من جانب آخر عدة أفكار يسردها الشاعر سردا في سهولة وبساطة وهى أفكار لا تدل على تفلسف أو عمق ، وانما هى أفكار قريبة تسجل في وضوح الأحداث البارزة في يوم « دولاب » وهى قليلة الخيال يغلب عليها الطابع الفكرى العسكرى وتأثرها بالقرآن الكريم وقد انتهى يوم دولاب عن قتلى كثيرين ، ودماء سالت بغزارة من القتلى والجرحى .

كما يصور حزن بعض سيدات الخوارج على قتلاهن فرب سيدة كريمة قد فجعت فى فتى شريف أصيل الأمهات كريمها ، فلطمت خدها حزنا عليه ، وانه قد أصيب بدولاب وهى ليست له بموطن وكذلك ليست دير حميم بموطن له ، انه هنا يدافع عن عقيدته بعيدا عن وطنه لقد خرج مجاهدا فأصيب بهذه الأرض .

كما يتضح فيها رأى الخوارج فى خصومهم وأنهم فى نظرهم كفار تباح أعراضهم وحريمهم ونرى فى القصيدة أيضا شعار الخوارج الذى يعتنقونه فهم قد باعوا أنفسهم لله واشتروا جنات النعيم ، ولقد كان ذلك شعارهم عند كل قتال مما جعلهم يحاربون بروح معنوية عاليه الحماس الرائع ويتضح ذلك فى قصيدته التى بلغت شهرة ذائعة حتى يكاد يحفظها كل من له تعلق بالأدب والشعر : ويتمثل بها فى مواطن الجرأة والشجاعة :

يقول :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعى[1]

فانك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى

فصبرا فى مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع

ولا ثوب البقاء بثوب عز ... فيطوى عن أخى الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كل حى ... فداعيه لأهل الأرض داع

ومن لا يعتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون الى انقطاع[2]

وما للمرء خير فى حياة ... اذا ما عد من سقط المتاع[3]

أبيات قطرى فى الحماسة (أقول لها ... القصيدة) تشجع أجبن الناس ، وما أعرف فى هذا الباب مثلها ، وما صدرت الا عن نفس أبيه وشهامة عربية[4] .

---

(١) لن تراعى : لن تفزعى .
(٢) يعتبط : الاعتباط الموت دون علة .
(٣) سقط المتاع : الشىء الذى لا فرق بين وجوده وعدمه ولا توقف المنفعة عليه .
(٤) وفيات الأعيان ج ٣ : ٢٥٦ .

وهى فكرة واحدة متماسكة يناقش فيها الشاعر مع نفسه فكرة الحياة والموت مستمدا من هذا النقاش وسائل اقناع نفسه بالصمود أمام الأعداء والصبر فى مجال الموت .

والابيات تصور قطريا انسانا واقعيا تتعلق نفسه بالحياة وتخاف الموت وهو يجالد نفسه كما يجالد أعداءه فى شدة ، ويكشف لها عن سخافة شعورها بالخوف ، وتفاهة تعلقها بالحياة وله قصيدة أخرى تسلك هذا الطريق نفسه ولا تقل قوة عن سابقتها يقول فيها :

لا يركنن أحـد الى الأحجام[1] يوم الوغى متخوفا ... لحمام[2]
فلقد أرانى للرمـاح دريئـة[3] من عن يمينى مـرة وأمـامى
حتى خضبت بما تحدر من دمى أكتاف[4] سرجى أو عنان لجامى
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جذع[5] البصيرة قارح[6] الاقدام

انه هنا يحثهم على التقدم ، ويحذرهم من أن يجعلوا الخوف من الموت وسيلة الى التخلف عن الجهاد ، أن هروب الانســان من الوغى وفراره منها لا يباعد بينه وبين الموت ، وكذلك اقتحامه أهوال الحرب لا يقارب بينه وبين الموت .

ها هو قطرى يهاجم أعداءه حتى يكون هدفا لرماحهم عن يمينه وشماله وأمامه ، وتصيبه وتخضب بدمه أكتـاف سرجه وعنـان لجامه ولكنه مع ذلك ينصرف وقد أصاب ولم يصب ، ينصرف قويا فى هجومه ، شديدا فى اقدامه ، والأبيات تكشف عن رجل حرص على الموت فوهبت له الحياة ، وعن نفس مطمئنة الى أن « لكل أجل كتاب » كما أن الأبيات تصور براعة قطرى فى القتال وروعته فى الهجوم وتحمله لما يصيبه دون تراجع عن هدفه .

---

(١) الأحجام : النكوص والتاخر .
(٢) الحمام : الموت . (٣) دريئة : غرضا .
(٤) اكتاف السرج : جوانبه .
(٥ ، ٦) الجذع والقارح من صفات الخيل فالجذع المستغنى عنه فى الرياضة والقارح : الذى بلغ النهاية فى السن .

اهم المراجع والمصادر

١ ـ الأغانى — لأبى الفرج الأصفهانى — بيروت

٢ ـ الشعر والشعراء — لابن قتيبة — بيروت

٣ ـ الاصابة فى أخبار الصحابة — بيروت

٤ ـ لسان العرب — لابن منظور — دار المعارف مصر

٥ ـ تاريخ الطبرى — الطبرى — بيروت

٦ ـ المعمرون — للسجستانى — بيروت

٧ ـ حياة الصحابة — بيروت

٨ ـ المجد — لابن حبيب — بيروت

١٠ ـ مجمع الأمثال — للميدانى — بيروت

١١ ـ خاص الخاص — الثعالبى — بيروت

١٢ ـ أدب الكاتب والشاعر — ابن قتيبة — القاهرة

١٣ ـ العمدة — بيروت

١٤ ـ تاريخ آداب اللغة العربية — جرجى زيدان — دار الهلال

١٥ ـ أدب صدر الاسلام — محمد خضر — بيروت

١٦ ـ صحيح البخارى — دار الشعب مصر

١٧ ـ ديوان كعب بن مالك — بيروت

١٨ ـ زهرة الآداب وثمر الألباب — الهيئة المصرية

١٩ ـ البيان والتبيين — للجاحظ — القاهرة

٢٠ ـ البداية والنهاية — لابن كثير — دار الفكر بيروت

٢١ ـ تهذيب ابن عساكر — بيروت

٢٢ ـ قادة فتح العراق والجزيرة — محمود شيت خطاب — بيروت

٢٣ — معجم البلدان — لياقوت — بيروت
٢٤ — المسالك والممالك — للاصطخرى — بيروت
٢٥ — طبقات ابن سعد — بيروت
٢٦ — الاستيعاب — لابن عبد البر — بيروت
٢٧ — سيرة ابن هشام — مصطفى الحلبى — مصر
٢٨ — كتاب الغزوات — لابن حبيش — مخطوط
٢٩ — تاريخ الرسل والملوك — للطبرى — بيروت
٣٠ — مختار الأغانى — بيروت
٤١ — شرح شواهد المغنى للسيوطى — بيروت
٣٢ — الارشاد — لياقوت — بيروت
٣٣ — الكامل — ابن الأثير — بيروت
٣٤ — طبقات فحول الشعراء — ابن سلام — الهيئة المصرية
٣٥ — الاعلام — لخير الدين الزركلى — بيروت
٣٦ — شرح ديوان الحماسة للمرزوقى لجنة التأليف والترجمة — بمصر
٣٧ — شرح ديوان الحماسة — للتبريزى — بيروت

الفهـــرس

الموضـــوع	صـــفحة

الفصـــل الأول :

الفصـــل الثانى :

الموضـــوع	صـفحة

الفصـــل الثالث :

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٤١٩٣

